دكتور
محمد محمد زناتي

تفسير سورة المؤمنون

إيمان... وحقائق

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

اهداءات ٢٠٠٢

د/ ابراهيم محمد ابراهيم حريبة
القاهرة

دكتور
محمد محمد زناتي

تفسير سورة المؤمنون

إيمان ... وحقائق

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا
ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين
من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا
به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . أنت
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ..))

بسم الله الرحمن الرحيم

- مقدمة -

الحمد لله رب العالمين . أحمدك ربى حمد الشاكرين .
وأتوب اليك توبة الموحّدين المستغفرين المنيبين لله رب
العالمين .. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه
أمر الدنيا والآخرة أن أَضِل أو أُضَل . أو أَزِل أو أُزَل . أو
أَظلم أو أُظلَم ..

وأُصلى وأُسلم أفضل صلاة وتسليم على خير خلقك . سيدنا
محمد - صلى الله عليه وسلم - . خير نبى .. أرسل الى خير
أمة .. وأرسله الله بخير كتاب وهو القرآن الكريم .

" وبعد "

فالقرآن الكريم . هو الكتاب الخالد .. نزل على رسول .
هو الرسول الخاتم، أنزله الحق - سبحانه - ليخرج الناس من
الظلمات إلى النور . ويهديهم للتى هى أقوم ..

" قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات إلى النور
بإذنه . ويهديهم إلى صراط مستقيم " ..

وخير ما يوصف به هذا الكتاب الخالد .. ما رواه الامام علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ قال :

« سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " ستكون فتن كقطع الليل المظلم " .. قلت يارسول . وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى . فيه نبأ من قبلكم . وخبر من بعدكم . وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبّار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . هو حبل الله المتين . ونوره المبين . والذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . وهو الذى لا تزيغ به الأهواء . ولا تلتبس به الألسنة . ولا تتشعب معه الآراء . ولا يشبع منه العلماء . ولا يمله الأتقياء . ولا يخلُق عن كثرة الرد . ولا تنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : " انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به " .. من عمل به أُجر . ومن حكم به عدل . ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .. "

من أجل ذلك كان هذا الكتاب محط عناية وحفظ ورعاية من المؤمنين المخلصين فأعملوا فيه عقولهم بإتقان . وتدبروا آياته بإمعان . ليصلوا إلى ما فيه من أسرار الهداية . وكنوز المعارف . ودقائق الأمور .

ليسهل على المؤمنين أن يترجموه إلى واقع عملى فـى حركة حياتهم .. ومن فضل ونعمته علىّ . أن أكون واحـــدا من المشتغلين فى هذا المجال الطيب المبارك .. وفيه أحـس بروح العبادة والتقرب إلى الله ـ تعالى ـ فى كل كلمة أقولها. أو أكتبهـا .

وشاء ت إرادة الله أن أتولى تدريس التفسير وعلوم القرآ ن لطلاب السنة الثالثة بكلية الدراسات الاسلامية والعربية ـ جامعة الأزهر ـ بالقاهرة وألقيت عليهم هذه المحاضرات فى تفسـير سورة المؤمنون . وقد طلبواأنأجمع لهم هذه المحاضرات فى هذا الكتـاب ..

وذلك حتى يسهل عليهم مراجعتها والاطلاع عليهـا .. وخصوصاً الطلاب الذين يصعُب عليهم الحضور لتحصيل تـلك المحاضرات ...

وقد توخيت فـى صياغة هذه المحاضرات وكتابتها السهولة واليسر والتبسـيط . والبعد عن كل ما يخرج بالنص القرآنى عن هدفـه الأسمى وغايتـه العليـا .

وتناولت فى هـذا الكتاب ما يأتـى :

أولاً : التفسير التحليلي لسورة المؤمنون .

ثانياً : وضعت في آخر الكتاب ما هو مقرر من بيـــان غريب القرآن الكريم لسور الفرقان . والشعـــراء . والنمـــل .

هذا وبالله التوفيق ؛؛؛

١٨ من ربيع الثاني سنة ١٤٠٤ هـ.

٢١ من يناير سـنة ١٩٨٤ م .

دكتـور

محمد محمد زناتي

وقفات بين يدى السورة

تقديم :

سورة المؤمنون من السور المكية التى لها اهتمام خاص بالجانب العقائدى فلها طابعها الخاص فى الأسلوب والمضمون .

فقد نزلت لتعالج قضية الايمان فى قلوب المؤمنين - والتى سميت السورة باسمهم وذلك رفعة لشأنهم وتخليدا لذكراهم . وإشادة بمآثرهم وبينت أنهم - بذلك - استحقوا الفوز بالفردوس الأعلى ..

ثم تناولت قضية الرسالات .. وقضايا المعاندون .. وقضية الآخرة- ويمكن حصر أهم الأشواط التى سارت عليها السورة بإيجاز شديد .

الشوط الأول :

تقرير فلاح المؤمنين . وبيان سبب فلاحهم بذكر صفاتهم . ثم تقرير الايمان بالأدلة المشاهدة فى الأنفس والآفاق.

الشوط الثانى :

عرض سريع لقصص الأنبياء السابقين . وذلك لبيان وحدة

الهدف المشترك بينهم على اختلاف زمانهم ومكانهم .. ويؤكد ذلك ما قاله النبى ـ صلى الله عليه وسلم " أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى " لا اله الا الله " . وتعرضت لبيان ما كان يلقاه الأنبياء من أذى وظلم وذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم .

الهبوط الثالث :

ذكر موقف الناس والأمم واختلافهم بعد الرسل . وذكر غفلتهم بسبب ما ابتلاهم الله به من النعم التى اغتروا بها .

الهبوط الأخير :

الحديث عن الأهوال التى يلقاها الكفار عند الاحتضار . وبعد الاحتضار انقسام الناس الى قسمين : سعداء وأشقياء . وفى النهاية ما جاء خطاباً للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعهم . وأن يدفع بالتى هى أحسن . فلا يغضب ولا يضيق بما يقولون ..

والجو المسيطر على السورة هو جو الايمان . والتقرير . والتحليل ويرسم هذا الجو صاحب ظلال القرآن بقوله :

جو السورة كلها هو جو البيان والتقرير .. وجو الجدل الهادئ . والمنطق الوجدانى . واللمسات الموحية للفكر والضمير . والظل الذى يغلب عليها هو الظل الذى يلقيه موضوعها .. الايمان .. ففى مطلعها مشهد الخشوع فى الصلاة " الذين هم فى صلاتهم خاشعون " . وفى صفات المؤمنين فى وسطها " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون " . وفى اللمسات الوجدانية " وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون " ... وكلها مظللة بذلك الظل الايمانى اللطيف .. " (١)

فضل سورة المؤمنون :

ومن فضل سورة المؤمنون ما نقله ـ ابن كثير ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها حينما سئلت عن أخلاق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : " كان خلقه القرآن " ثم قرأت قوله تعالى : " قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون " حتى قوله : " والذين هم على صلواتهم يحافظون " وهكذا تشير السورة الكريمة إلى أخلاق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .. " (٢)

---

(١) ظلال القرآن جـ ٤ / صـ ٢٤٥٣

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ٥ / صـ ٤٥٤ .. طبعة الشعب .

ومن ذلك أيضاً ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

" كان إذا نزل الوحى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسمع عند وجهه كدوىّ النحل . فمكثنا ساعة . فاستقبل القبلة . ورفع يديه فقال : " اللهم زدنا ولا تنقصنا . واكرمنا ولا تهنا . وأعطنا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر علينا . وارض عنا وارضنا .. ثم قال : لقد نزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة . ثم قرأ " قد أفلح المؤمنون " حتى ختم العشر ... " (١)

وأورد الامام البيضاوى فى تفسيره ما نصه :

(وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن أولها . وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها نجا وأفلح . والله أعلم)(٢) .

وأورد ابن كثير فى تفسيره حول فضل السورة ما نصه :

" وقد روى عن كعب الأحبار " لما خلق الله جنة عدن .

---

(١) أنظر مسند الامام أحمد جـ ١ / صـ ٣٤

(٢) أنظر تفسير البيضاوى جـ ٢ / صـ ١١٧

وغرسها بيده ، نظر اليها وقال لها تكلمى ، قال " قد أفلح المؤمنون " قال كعب الأحبار : لما أعد لهم فيها من الكرامة[1]

صفات المؤمنين

الآيات :

" قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون • والذين هم عن اللغو معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون • والذين هم لفروجهم حافظون • إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم على صلواتهم يحافظون • أولئك هم الوارثون • الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون • "

مناسبة السورة لما قبلها :

لما ختمت سورة الحج بالحث على الركوع والسجود والعبادة بقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٥ / صـ ٤٥٥

ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون "(١). جاءت سورة المؤمنون بأسباب ذلك الفلاح . وأكدت حصوله للمؤمنين الذين اجتهدوا فى العبادة لله تعالى واتصفوا بالصفات التى ذكرت بايجاز فى آخر سورة الحج وبالتفصيل فى أول سورة المؤمنون .

المباحث اللغوية فى الآيات الكريمة :

(**أفلح المؤمنون**) فازوا وسعدوا ونجوا .
(**خاشعون**) متذللون خائفون ساكتون .
(**اللغو**) ما لا يجمل من القول والفعل والشعور .
(**العادون**) المجاوزون الحلال إلى الحرام .
(**الفردوس**) أعلى درجات الجنة وأوسطها وأفضلها .

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :

حكم الحق- سبحانه — بفلاح المؤمنين بقوله (**قد أفلح المؤمنون**) . وأكد ذلك بادخال حرف التحقيق (**قد**) على الفعل الماضى (**أفلح**) .. وذكر سبب فوزهم وفلاحهم بقوله (**الذين هم فى صلاتهم خاشعون**) . وهذه هى الصفة الأولى

---

(١) سورة الحج آية ٧٧

الخشوع فى الصلاة . وصلاة لاخشوع فيها كجسد لا روح فيه ..
وقد رأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا يعبث بلحيته
فقال " لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه " .. فالخشوع فى
الصلاة يعطى لها ذاتيتها . ويحقق أثرها الطيب فى قلب
المصلى وينعكس على جوارحه، ثم ذكر الصفة الثانية للمؤمنين بقوله:
(والذين هم عن اللغو معرضون) واللغو هو الكلام العبث
الذى خلا من الفائدة الأخروية أو الدنيوية .. ويشمل كل ما
كان حراماً أو مكروهاً .. وورد فى الأثر أنه " ما من يوم تشرق
شمسه إلا نادت الجوارحُ اللسانَ قائلة : " أيها اللسان اتق
الله فينا إذا استقمت اليوم استقمنا . وإذا اعوججت اعوججنا .. "

وعن أنواع اللغو يشير صاحب ظلال القرآن بقوله :

" لغو القول .. ولغو الفعل .. ولغو الاهتمام والشعور "
ثم قال ـ رحمه الله ـ " أن لقلب المؤمن ما يشغله عن
اللغو واللهو . والهذر . له ما يشغله من ذكر الله وتصور آياته
وتدبرها فى الآفاق والأنفس ... وله ما يشغله من تكاليف
العقيدة : تكاليفها فى تطهير القلب . وتزكية النفس وتنقية
الضمير . وتكاليفها فى السلوك . وتكاليفها فى الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر .. فهى تكاليف لا حصر لها لا يغفل عنها
المؤمن . ولا يعفى نفسه منها " (١)

---

(١) ظلال القرآن حـ ٤ / صـ ٢٤٥٤

ولما كان الانسان بطبيعته قد جُبل على الشح وحـب المال • ومحاولة جمعه بأى وسيلة • والتمسك به •• بـين أن المؤمنين على خلاف ذلك • فهم لا يجمعون المال إلا من الحلال الطيب • ويخرجون ما يتعلق بمالهم من الحقوق بقولـه ـ جل شأنه ـ :

(**والذين هم للزكاة فاعلون**) • والزكاة هى الطهـارة للمال • والأنفس وذلك لقوله تعالى " خذ من أموالهم صدقـة تطهرهم وتزكيهم بها "[1] .

والزكاة التى يخرجها صاحبها من ماله ما هى إلا تأمين لمستقبله • وأمانة عند من لاتضيع عنده الأمانات حتى إذا مـا سُحب بساط الدنيا والمال من تحت قدمية وجد فى قلـوب وأموال الأغنياء ما كان قد قدمه فى وقت غناه فالزكاة تقـى المجتمع شر الخلل الذى ينشأ بين المعدومين والمترفين • وهى قمة التأمين الاجتماعى لحياة الأفراد والأمان لمستقبلهم ••

ولما كان من جوانب الضعف عند الانسان ـ اذ اكتمل نمـوه ـ التفريط فى الجوانب الجسدية • والتهور الجنسـى بين أن المؤمنين على خلاف ذلك وأنهم قد ضبطوا هـذه الجوانب عندهم • ووضعوا فى طريقها المشروع لها دون إفراط

---

(١) سـورة التوبة آية ١٠٣

أو تفريط .. فقال :

(**والذين هم لفروجهم حافظون**) . والمعنى : أنهم مستمرون على حفظ الفروج فى كافة الأحوال إلا فى حال تزوجهم أو تسريهم ..

وكأنهم بذلك ينشرون فى المجتمع طهارة الروح والبيت والجماعة بحفظ الفروج من دنس المباشرة فى غير حلال .. وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حلال . وحفظ الجماعة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب . ومن فساد البيوت فيها والانساب .

وعن الأثر السيء لمن تفشت فيهم ظاهرة الفوضى والانحلال يقول الامام سيد قطب : " والجماعة التى تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة معرضة للخلل والفساد لأنه لا أمن فيها للبيت ، ولا حرمة فيها للأسرة . والبيت هو الوحدة الأولى فى بناء الجماعة . اذ هو المحضن الذى تنشأ فيه الطفولة وتدرج . ولا بد فيه من الأمن والاستقرار والطهارة ..

والجماعة التى تنطلق فيها الشهوات بغير حساب . هى جماعة قذرة هابطة فى سلم البشرية . فالمقياس الذى لا يخطىء للارتقاء البشرى . هو تحكم الارادة الانسانية وغلبتها . وتنظيم الدوافع الفطرية فى صورة مثمرة نظيفة لا يخجل الأطفال معها من الطريقة التى جاءوا بها إلى هذا العالم لأنها طريقة

معروفـــة نظيفـــة » (١)

وقد حددت الآية الطريقين المشروعين لتحقيق الرغبـــة الجسدية والفطرية فى جسم الانسان وهما : نكاح الزوجة الحلال، والتسرى بالأمة التى يملكها سيدها ملك اليمين . وعبّر عن ذلك بقوله ـ تعالى ـ (**إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين**) . والملوم هو المؤاخذ على فعل لا يحل لـه .

ثم بين ـ الحق سبحانه ـ عقوبة من يبحث عن تحقيـق مطالبه الجسدية والجنسية فى غير هذين الطريقين بقوله :

(**فمن ابتغى وراء ذلك**) أى ممن طلب تلبية رغبتـــه الجسدية وراء وخلاف ما سبقت الاشارة اليه (**فأولئك هم**) وأشـار باسم الاشارة البعيد جمعا دلالة على التناهى والعظم فـــى العدوان (**العادون**) أى المعتدون والمتجاوزون للحدود . والتى يستحقوا بذلك عقاب الله لهم .. ثم ذكر الحق ـ سبحانـه ـ من صفات المؤمنين حفظهم للأمانات والعهود بقوله (**والذيـن هم لأماناتهم وعهدهم راعـون**) ..

وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر الأمانة مرة مفردة . ومرة جمعا كما فى هذه الآية .. والجمع هنا ليوضح تعدد الأمانات

---

(١) ظلال القرآن جـ ٤ / صـ ٢٤٥٥

التى يجب على الانسان الحفاظ عليها .

وفى قمة هذه الأمانات . أمانة الفطرة التى فطر اللـــه عليها من الاستقامة والتى تدل صاحبها على وحدة الخالـــق ـ سبحانـــــه ـ .

يقول صاحب الظلال :

" والجماعة المسلمة مسئولة عن أماناتها العامة . مسئوولـة عن عهدها مع الله تعالى . وما يترتب على هذا العهد مـــن تبعات . والنص يجمل التعبير ويدعه يشمل كل أمانة وكل عهد . ويصف المؤمنين بأنهم. لأماناتهم وعهدهم راعون فهى صفة دائمة لهم فى كل حين . وما تستقيم حياة الجماعة إلا أن تـــؤدى فيها الأمانات . وترعى فيها العهود . ويطمئن كل من فيهـــا إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة . الضرورية لتوفـــير الثقة والأمن والاطمئنان ".(1) أما المنافقون فانهم يتحللون مـــن هذه الأمانات . والعهود . ولذلك يقول المصطفى صلى الله عليـــه وسلـــم :

" آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب . واذا وعـــد أخلف . واذا أؤتمن خان "

---

(1) أنظر ظلال القرآن حـ ٤ / صـ ٢٤٥٦

وكأنى بهذه الآية التى وصفت المؤمنين بالحفاظ على الأمانات قد جعلت حركة حياة الانسان بما فيها وعلاقة بالعبد والرب كل ذلك أمانة عظيمة يجب على المؤمنين الا يخونوا فيها الله ورسوله ولا أنفسهم ثم وصف المؤمنين بصفة أخرى فقال :

(والذين هم على صلواتهم يحافظون) • سبق فى الصفات السابقة ذكر الخشوع فى الصلاة • وفى هذه الآية يتعرض للصلاة من زاوية أخرى حتى لا يتكاسل المؤمن فى أداء ما فرض عليه • ولا يتهاون فيها أبدا مهما كانت ظروفه • خصوصا وأن الدين يسّر للمؤمنين فعل وإتيان هذه الفريضة حسب ظروفهم• فمن عجز عن الصلاة قائما جاز له أن يصلى جالسا • وفى الصلاة للمسافر القصر مراعاة للمشقة • كل ذلك بضوابط وضّحها الشارع الحكيم •••

فالمؤمن ـ بطبيعته ـ خاشع فى صلاته محافظ ومداوم عليها • يؤديها فى وقتها المقرر لها دون إهمال أو تأخير أو كسل ••

" وقد ورد عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت يارسول الله : أى العمل أحب الى الله ؟ قال : " الصلاة على وقتها " قلت

ثـم أى ٠ ؟ قال " بر الوالدين " ٠ قلت ثم أى ٠ ؟ قـــال " الجهاد فى سبيل الله " أخرجاه فى الصحيحين "[١]

وقد افتتح الله ذكر الصفات الحميدة بالصلاة ٠ واختتمها بالصلاة ٠ فدل ذلك على أفضليتها ٠ كما قال رسول اللـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ " اعلموا أن خير أعمالكم الصـــلاة ٠ ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن "[٢] ٠

(أولئك هــم الوارثــون)

مناسبة الآية لما قبلها من الآيات ٠٠

لما تعرض الحق سبحانه وتعالى لذكر صفات المؤمنـــين والذين تخلقوا بها وأصبحت بالنسبة لهم واقع حياة يعيشوه فــى الدنيا، ذكر فى هذه الآية ما أعد لهم فى الآخرة الباقيـــة ٠٠ فقد شاء الله لهم أن يصل المؤمنون الذين ساروا فى الطريق إلى الغايــة المقدرة لهم فى الفردوس الأعلى ٠٠

---

(١) أنظر البخارى حـ ١ / صـ ١٤٠ ٠ كتاب الصـــلاة ٠ باب (فضل الصلاة لوقتها) ، ومسلم حـ ١ /صـ ٦٣ ٠ كتاب الايمان ٠

(٢) أنظر سنن ابن ماجه حـ ١ / صـ ١٠٢ ٠ كتاب الطهارة ٠ ، ومسند الامام احمد حـ ٥ / صـ ٢٧١ ٠

وعبر عن جزائهم بالميراث . وهو النوع الوحيد من الملكيات التى لا يُنازَع الوارث فيه .. وعبر بالميراث أيضا . لأن أهل الجنة يرثون أماكن أهل النار فى الجنة زيادة فى نعيمهم كما أن أهل النار يرثون أماكن أهل الجنة فى النار زيادة فى عقوبتهم . فكأن لكل انسان مكانين . مكان فى الجنة . ومكان فى النار . كما ورد ذلك فى الحديث النبوى الشريف ..

ولما تعرض للميراث بين حقيقة الموروث . وذكر عظمته فقال (**الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**) .

ففى الآية ـ حسب دلالة الفاظها ـ ايحاءات تبين عظم هذا الجزاء وأهميته

أولا : الجزاء ميراث لا يُنازَع فيه .

ثانيا : وهذا الميراث عظيم لأنه الفردوس أعلى درجات الجنة .

ثالثا : الحكم بخلودهم فيه . وذكر الجار والمجرور (فيها) لا فى غيرها مؤكد ذلك .

وأى نعيم فى الدنيا عرضة للزوال ويعيش صاحبه فى هم نفسى رهيب لأنه بين أمرين أحلاهما مرّ . وهما :

الأول : إما أن يرحل بالموت عن هذا النعيم الدنيوى .

الثانى : إما أن يرحل عنه ما هو فيه بالفقر أو المرض أو غير ذلك

أما المؤمنون الذين اتصفوا بهذه الصفات فلهم الجــزاء والنعيم الذى لا يزول عنهم ولا يزولون عنه بحكم الحق تبــارك وتعالى بقولــه (هــم فيها خالدون) ..

" ولذلك يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " اذا سألتم الله الجنة . فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوســط الجنة . ومنه أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن "[1] .

---

(١) أنظر البخارى حـ ٤٠ / صـ ١٩ ـ ٢٠ . كتاب الجهاب . (باب درجات المجاهدين) .
وكتاب التوحيــد حـ ٩ / صــ ١٥٣

مراحل خلق الانسان

الآيـــات :

" ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين • ثم إنكم بعد ذلك لميتون • ثم إنكم يوم القيامة تبعثـون "

مناسبة الآيات لما قبلهـا :

بعد أن ذكر الحق ـ سبحانه ـ فلاح المؤمنين وذكر صفاتهم التى اتصفوا بها • وكلها تدور فى الايمان وترسيخ دعائمه فى قلوب المؤمنين •• بدأت الآيات ـ هنا ـ تنتقل بنا فى أدلة شهودية محسوسة فى عالم الواقع • والتى لا يزيد التفكر فيها الايمان إلا قوة وتمكينا فى قلوب المؤمنين •• فالآيات السابقة تتعرض للايمان • وجاءت الآيات التى بين أيدينـا لنعيش بها فى أدلة الايمان المشار اليه سابقا •

اللغويات : (**سلالة من طين**) • أى خلاصة الطين • (**نطفة**)

أى المنى الذى ينطف من الرجل ـ (قرار) أى مستقر وهو الرحم (علقة) : أى دما جامدا يشبه العلقة • وسمى العلقـــة • وسمى بذلك لأنه يعلق بجدار الرحم ـ (مضغة) : وهـــى قطعة اللحم التى لاشكل لها • ولا تخطيط ـ (فتبارك) : أى تعالى وتعاظـــم •

التفسير التحليلى للآيات السابقة :

(ولقد خلقنا الانسان) أثبت الحق ـ سبحانه ـ خلقه للانسان • وتفرده بذلك الخلق فى أسلوب جمع فيه أنـــواع التوكيد الآتيـــة :

١ ـ جعل الجملة فى جواب قسم محذوف جاءت اللام لتكـو ن جوابـــا له •
٢ ـ إدخال حرف التحقيق (قد) على الفعل الماضى (خلقنا) •
٣ ـ إسناد الخلق الى نون العظمـــة •

ويعنى بالانسان آدم وذريته • حيث خلق الله آدم من الطين • وخلق ذريته من بعد من النطفة التى تتكون مـــن حيوان منوى الرجل وبويضة المرأة •

وورد آيات عديـــد حول خلق الانسان (آدم)من الطـين

مرة ومن حمأ مسنون أخرى . ومن تراب ثالثه . ومن صلصال كالفخار .. إلى آخره .

هل هناك تعارض فى الاخبار عن حقيقة واحدة بطرق مختلفه .. ؟

والجواب لا خلاف فى ذلك . لأن الحق ـ سبحانه ـ جعل التراب حتى يصير صلصال كالفخار يمر بمراحل . عبّر فى تلك الايات بواحدة من هذه المراحل . إذاً فلا تعارض بين الآيات التى تناولت خلق آدم عليه السلام (من سلالة من طين) . ولا شك أن ذلك يدل على عظمه الحق سبحانه وقدرته الباهره حيث يجعل من هذا الطين المهان إنساناً يسمع ويبصر ويعقل ويكرمه ويفضله على سائر خلقه . ولذلك امتن الله على عباده بذلك حيث يقول ـ عز من قائل ـ "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ".(١) .

ونقل عن الامام أحمد عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والاسود . بين ذلك الخبيث والطيب " (٢) .

---

(١) سورة الروم آيــة ٢٠
(٢) أنظر مسند الامام أحمد حـ ٤ / صـ ٤٠٠ ـ ٤٠٦

ولما تكلم على أصل خلق آدم بدأ ـ سبحانه ـ يوضح كيف خلق ذريته فقال : (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) وعبر بالعطف (بثم) التى تفيد التراخى بين المعطوف والمعطوف عليه حيث دلت الآية على الوقت الذى كان بين خلق أدم وخلق بنيه وذريته من بعده ..

وقد جرت سنة الله ـ سبحانه ـ أن يكون تكاثر بنى الانسان من بعده عن طريق النطفة المائية التى تخرج من صلب الرجل فتستقر فى رحم المرأة وهذه النطفه تحمل فيها ملايين عديدة من الحيوانات المنوية التى لا يحتاج منها إلا لواحد فقط يتفاعل مع بويضة المرأة حتى يمكن تخصيبها لتتم عملية الحمل فى جو من العناية الربانية المركزة فى داخل القرار المكين . وهو الرحم الغائر بين عظام حوض المرأة حتى يكون فى أمن ضد الصدمات ...

والمرأة حينما تحمل لا ينزل عليها دم الحيض لأن الجنين يحتاج الى جزء منه للغذاء والتنفس عن طريق الحبل السّرى (الصره) . والجزء الباقى من هذا الدم يحيط بالجنين ليكوّن المشيمة التى تكون بمثابه مساند " وتكايات " تحفظ الجنين ضد الصدمات خصوصا فى مراحله الأولى التى يكون عظامه فيها طرياً يتأثر بأقل صدمه تتعرض لها الحامل ...

(**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) . لما كان مرحله العلقة مختلفة عن مرحله النطفة عطف الحق ـ سبحانه ـ بثم التى تفيد الترتيب والتراخى ...

والمعنى ثم صيّرنا النطفة وهى الخلية الناتجة من حيوان منوى الرجل مع بويضة المرأة فصارت علقه حمراء على شكل العلقة المستطيلة . وتعهدنا هذه العلقة بالرعاية والحفظ حتى حولناها الى مضغة . ولاشكل لها يميزها . وتعدناها حتى شكلنا منها هيكل الجنين وهذا معنى قوله (**فخلقنا المضغه عظاما**) . بأن جعلنا له الرأس واليدين والرجلين بعظامها وعصبها ..

وزيادة فى اهتمامنا بهذا الجنين كسونا ذلك العظام العارى باللحم حتى يتأهل لأن تنفخ فيه الروح .. وهنا تساؤل .

إذا كانت الروح حتى مرحله كسو العظام باللحم لم تنفخ بعد فكيف تخلق الجنين وبأى روح يتحول من النطفه إلى العلقة . ومن العلقة الى المضغه .. ؟

والجواب أن الجنين فى هذه المرحلة يعيش بما يسمى

(بالنامية الحيوانية) وهى ليست روح وانما هى قوة وحياة خلاياه التى تكون منها جسده والتى تقبل الانقسام والتكاثر والله أعلم ...

" وهنا يقف الانسان مشدوها أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة فى تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقه الا أخيرا بعد تقدم الاجنه التشريحى . وذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم .. وقد ثبت أن خلايا العظام هى التى تتكون أولا فى الجنين . ولا تشاهد خليه واحده من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام . وتمام الهيكل العظمى للجنين وهى الحقيقة التى يسجلها القرآن بقوله (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما).. " (١)

ولما أنتهت مراحل خلق الجنين فى رحم الام قبل نفخ الروح . ولاشك أن هذه المراحل تمثل مرحلة واحد لازال الجنين فيها بغير روح .. وقد ثبت أن هذه المده تبلغ مائة وعشرون يوما . وبعد تنفخ فيه الروح فيمثل ذلك مرحلة جديد . عبر عنها الحق سبحانه بقوله :

(ثم أنشأناه خلقا آخر) بما منحناه من مميزات الارتقاء والكمال التى تميزه عن بقية الاجنة فى الاجناس الأخرى .

(١) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٥٩

ويؤكد ذلك مارواه ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال " ان أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه فى أربعين يوما . ثم يكون علقه مثل ذلك . ثم يكون مضغه مثل ذلك . ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح .ويؤمر بأربع كلمات : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وهل هو شقى أو سعيد "[1] .

(فتبارك الله أحسن الخالقين) تبارك بمعنى تعاظم وتقدس لأنه أهل لذلك كما فى آياته ـ كالتى بين أيدينا من الخلق وغيره ـ مايؤكد له ذلك .

وأفعل التفضيل (أحسن) ليس على بابه . وانما هو لبيان الحق المطلق فى خلق الله ويعرب (أحسنُ) بالرفع على أنه بدل من الفاعل .. أو أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هو أحسن الخالقين . ومعنى الخالقين : أى المقدرين تقديرا عظيما ..

" وقيل إن عبدالله بن سعد بن أبى سرح . كان يكتب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنطق بذلك قبل أن املائه عليه . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " أكتب هكذا نزلت " . فقال عبدالله .

---

(١) انظر البخارى . كتاب الحيض/ باب مخلقه وغير مخلقه جـ١ صـ٨٧

إن كان محمد نبياً يوحى إليه . فأنا نبي يوحى الـــى فأرتد ولحق بمكه ثم أسلـم يوم الفتح ... وقيل هذه الروايـــه غير صحيحه .. وأن القائل عمر بن الخطاب أو معاذ بن جبـــل رضى الله عنهما [1] ..

ولما تعرض الحق ــ سبحانه ــ لعملية الخلق والايجـــاد والاخراج للدنيا من عالم الارحام ولم يتعرض لذكر وتفصيل شـــئ يخص حياة الانسان فى الدنيا . اعتمادا على أن ذلك قـــــد فصل فى مواضع أخرى من الآيات والسور .

عطف على ذلك مرحلة الموت مباشرة فقال : ــ

(ثم انكم بعد ذلك لميتون)

والتفت فى أسلوب الآية عن الغيبة الى الخطاب زيـــادة فى الايقاظ والتنبيه للغافلين .. ولما كان الانسان قد ركـــــن إلى الدنيا وأطمأن اليها . وهو بذلك كأنه منكر للموت ناســـب أن يكون الاسلوب فى الآية مشتملا على المؤكدات الآتيه :

١ ــ كون الجملة اسمية
٢ــ إدخال حرف التوكيد (إنّ) عليها
٣ ــ إدخال اللام فى خبر إن (**لميتون**)
٤ ــ وجعل الخبر اسماً لا فعلا

---

(١) أنظر تفسير النسفى جـ٣ / صـ١٨٨
وانظر تفسيرا النيسابورى جـ ١٨ / صـ١١ .

والمعنى ثم تنتهى آجالكم فى الدنيا فلابد لكم مـــــن الموت الذى لا مفر لكم منه ثم عطف على مرحله البرزخ مرحلـــة البعث للحساب والجزاء فقال : ـ

(**ثم انكم يوم القيامة تبعثون**) أى من قبوركم للجـــزاء والحساب والعرض على علام الغيوب وجاء العطف بثم لوجـــود فاصل ـ فى عرف البشر ـ من الزمن بين الموت والبعث مـــن القبور . وجاء الكلام مؤكدا ليناسب حالة الانكار عند من ينكـــر الآخرة والحساب ...

مظاهر القدرة فى الكـــــون

الآيـــــات :

" ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وماكنا عن الخلــــق غافلين . وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه فى الأرض وإنـــا على ذهاب به لقادرون . فأنشأنا لكم به جنات من نخيــــل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون . وشجرة تخرج مـــن طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين . وان لكم فى الأنعـــام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنهـــا تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون " .

مناسبة الآيات لما قبلها :ـ

لما تعرض الحق سبحانه فى الآيات السابقة لقضية الايمان فى نفوس المؤمنين بصفاتهم وفلاحهم بسبب ذلك . وتعرض لأدله الايمان فى الواقع المحسوس والمشاهد بأدله خلق الانسان وأطوار ذلك الخلق .. ذكر ـ هنا ـ أدله شهودية أخرى لتقوية الايمان فى قلوب المؤمنين . وهذة الأدله فى الكون الذى فوقنا . ومع بعض المخلوقات الأخرى التى بيننا . ولكن أُلفنا لها . أنسانا مافيها من الابداع والاعجاز ..

المباحث اللغوية :ـ

(والطرائق السبع) " هى الطبقات السبع . أو المدارات السبع . أو المجرات السبع . أو الاسدمه السبع . أو سبع كتل فلكية . أو سبع مجموعات نجومية "(1) .

(بقدر) أى بتقدير دقيق .

(لعبرة) أى لعظه واعتبار .

(الفلك) أى السفن التى يستخدمها الانسان فى الانتقال عبر البحار .

---

(1) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٦١

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :-

من عظمة القرآن االكريم أنه متعدد فى وجوه إعجازه . فاذا كان قد أعجز العرب قديما بجودة سبكه . وحسن صياغته . فقد أعجز العلماء حديثا بما فيه من حقائق علمية عرف الناس منها جزءا وغابت عنهم أجزاء .. وهو - أى القرآن - حين يشير الى الحقيقة العلمية . لايلزم العقل البشرى بالوقوف عندها ويجده بها بل إنه يشير اليها باجمال دقيق ومفيد وبعد ذلك يترك الفرصة للعقول البشرية أن تبحث فيها .. حتى إذا انتهى هذا العصر وجاءت بعده عصور أخرى وجدت العقول البشرية - بحكم تقدمها ورقيها - المجال خصبا فى البحث عن تلك الحقائق العلمية التى أشار اليها القرآن الكريم .

وهنا سؤال .. هل يمكن للقرآن بحقائقه أن يتعارض مع الحقائق العلمية . مع التعليل ؟

والجواب لايمكن أن يتعارض ما فى القرآن الكريم من حقائق علمية مع العلم الحديث إذا كان علماء البشر يسيرون فى الطريق الصحيح دون شطط أو تعنت والسبب بسيط هى أن النظريات العلمية نتاج عقل بشرى قاصر قد يثبت ما أبطله السابقون . وقد يتعارض - هو ذاته - مع نفسه فى وقت

دون آخر فإذا ظهر تعارض بين القرآن والعلم فيجب علينا أن نعيد حساباتنا فى حقائبنا العلمية لأن التناقض من جانبها أمكن وله ما يبرره ...

وأخبر الحق - سبحانه - بأنه خلق فوقنا سبع طرائق وقد اختار - ابن كثير - أنه السبع سموات التى ذكر خلقها فى آيات أخرى . وعبر بالفوق لأن كل ما علانا فهو سماء . ولما كانت السبع طرائق . أو السبع سموات . أو السبع مدارات على سمتها وعلوها وبعدها بحيث يظن بعد عن الله . فيكون غافلا عنها نفى ذلك بقوله (**وما كنا عن الخلق غافلين**) . هذا على إراده أن المقصود بالخلق هو خلق السبع طرائق . أو يكون المقصود الخلق عامه السموات والأرض والناس الذين خلق السموات من أجلهم ..

" وبذلك يكون التعريف على الأول للعهد الذكرى . وعلى الثانى للاستغراق اى ماكنا مهملين أمر الخلق بل نحفظه وندبره أمره حتى يبلغ منتهى ماقدر له من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة "[1]

ولما تعرض لذكر خلق السماء ومافيها بين ما أعده فيها للانسان بما أنزله منها من الماء فقال ((**وأنزلنا من السماء**)) .

(١) أنظر تفسير القاسمى جـ١٢/ صـ٤٣٩٢

أى نحن لا غيرنا لأن ذلك خاص بنا لايمكن لأن أن يفعله فهو من الأفعال التى تخصنا كالخلق ٠ والبعث ٠ وعلم الساعة ٠ ولما كان الماء قد يكون مهلكا ويؤدى الى الدمار فيكون نقمة على الانسان لا نعمة بين الحق سبحانه أنه (**بقدر**) أى بمقدار تسلمون معه من الضرر وتحققون به منافعكم ومعايشكم ٠٠ (**فأسكناه فى الأرض**) أى فى طبقاتها يمكن الوصول اليه بالحفر وغير ذلك من وسائل رفعكم له ٠٠ وكان يمكن لنا أن نذهبه فى الطبقات السفلى من الأرض فيتعذر عليكم الاستفادة به ٠ ولكنا أسكناه فى طبقات الأرض القريبة لكم ولمنافعكم ٠٠

فكما جعلنا الأرحام مستقر للنطف كذلك جعلنا الأرض مستقر لهذا الماء وهذا من تنسيق المشاهد على طريقة القرآن فى التصوير ٠٠

ثم بين الحق ـ سبحانه ـ أنه قادر على أن يذهب بهذا الماء فى طبقات الأرض وأغوارها بقوله : (**وانا على ذهاب به لقادرون**) فلا تستطيعون الوصول اليه بحفر ولا غيره ٠ ولذلك يجب عليكم أن تحفظوا هذه النعمة وتقيدوها بالشكر لله تبارك وتعالى ٠٠

ولما تناولت الآيات السابقة ذكر المطر ٠ وانزاله بقدر مناسب لمنافع الناس وامساكه فى طبقات الأرض حتى يسهل الحصول

عليه .. بين علة نزول المطر وأنه أنزله لمصلحة الانسان وليس له ـ سبحانه ـ فى ذلك نفع يعود عليه أو يخصه . فقال **(فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب)** .. أى فأخرجنا **(لكم)** أنتم ليس لنا منه شىء **(به)** أى المطر والماء النازل حدائق وبساتين ذات منظر جميل .. وتعرض للنخيل والأعناب لاشتهارهما فى جزيرة العرب .. أو لأن الأول للتقوت والثانى للتفكه ..

(لكم فيها فواكه كثيرة) أى جمع الثمار . كما فصله سبحانه فى آية أخرى بقوله " ينبت لكم به الزرع والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات "(١)

(ومنها تأكلون) أى ترزقون وتحصلون منها على معايشكم " ويجوز أن يعود الضميران للنخيل أو الأعناب .. أى لكم فى ثمرتها أنواع من الفواكه والرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبيس وغير ذلك وطعام تأكلونه "(٢) .

(وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) وطور سيناء : هو الجبل الذى كلم الله ـ سبحانه ـ موسى ـ

---

(١) سورة النحل آية (١١)
(٢) أنظر تفسير البيضاوى جـ ٢ / صـ ١٠٤ .

عليه السلام .. وهذه الشجرة هى شجرة الزيتون . والتنكير فيها يفيد التعظيم لهذه الشجرة وأهميتها وقرئت (شجرةٌ) بالنصب والرفع .. كيف ذلك ؟ .

قراءة النصب بالعطف على جنات . والمعطوف على المنصوب منصوب .. وقراءة الرفع على الابتداء .. ويكون التقدير : أى ومما أنشأنا لكم به شجرة .. والباء فى (بالدهن) للحال .. والتقدير : أى تنبت ومعها الدهن .

" والصبغ : هو ما يصبغ به الطعام من الادام .. ويختص بكل ادام مائع . يقال : صبغ اللقمة دهنها وغمسها . وكل ما غمس فقد صبغ "(١)

ثم بدأت الآيات تنتقل بنا نقلة فى الأدلة المشاهدة والمحسوسة بقوله تعالى (**وإن لكم فى الأنعام لعبرة**)أى تعتبرون بأحوالها وتعتدلون بها . والأنعام المذكورة هنا هى الإبل خاصة لأنها هى المحمول عليها فى العادة .. ولأنه قرنها بالفلك لأن الإبل سفن الصحراء . كما أن الفلك سفن البحر قاله الزمخشرى .

والحق ـ سبحانه ـ يذكر فى هذه الآية ما جعل لخلقه

---

(١)أنظر تفسير القاسمى حـ ١٢/صـ ٤٣٩٤ .

فى الأنعام من المنافع . وذلك أنهم يشربون من ألبانهـــا الخارجة من بين فرث ودم . ويأكلون من لحومها . ويلبســون من أصوافها وأوبارها وأشعارها . ويركبون ظهورها . ويحملـون عليها أثقالهم الى البلاد النائية عنهـم ...

قال تعالى : " أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينـا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلـون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون "(١) .

وقيل إن الانعام فى الآية تشمل الابل والبقر والغـنم .. قال صاحب الظلال " ويربط السياق بين حمل الانسان على الأنعام وحمله على الفلك . وذلك بقوله (**وعليها وعلى الفلك تحملـون**) . وذلك بوصفهما مسخرين بنظام الله الكونى الذى ينظم وظائـف الخلائق جميعا .. كما ينسق بين وجودها جميعًا ... فهـذا التكوين الخاص للماء . والتكوين الخاص للسفن . والتكويـــن الخاص لطبيعة الهواء فوق الماء والسفن . هو الذى يسمح للفلك أن تطفو فوق سطح الماء وكل ذلك من دلائل الايمان الكونية .. لمن يتدبرها تدبر الفهم والادراك وكلها ذات صلة بالمقطـــع الأول فى السورة والمقطع الثانى متناسقة معها فى السياق "(٢) .

---

(١) سورة يس آيات ٧١ ـ ٧٣

(٢) أنظر الظلال حـ ٤ / صـ ٢٤٦٢ .

بين نوح وقومه . والجزاء المناسب

الآيـــات :

" ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه . فقال : يا قوم اعبـــدوا الله ما لكم من إله غيره . أفلا تتقون ..؟ فقال الملأ الذيـــن كفروا من قومه : ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكـم . ولو شاء الله لأنزل ملائكة . ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين . إن هو الا رجل به جنة . فتربصوا به حتى حين . قال رب انصرنى بما كذبون . فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنـــين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم . ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل : الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين . وقل رب أنزلـــنى منزلا مباركاً وأنت خير المنزلين . إن فى ذلك لآيات وان كنـــا لمبتلـــين " .

مناسبة الآيات لما قبلها :

لما تعرضت الآيات السابقة لحقيقة الايمان فى قلـــوب المؤمنين وأدلته الشهود به فى أنفسهم ودنياهم . أتبعــــه

ـ فى هذه الآيات ـ حقيقة هذه الايمان على ألسنة الرسل .
وأنهم جاءوا جميعا برسالة التوحيد . والايمان بالله وحده
وان قوبلوا من أممهم بالرفض والعناد ..

وقد أورد الامام النيسابورى مناسبة جزئية بين الآيات وسابقتها هذا نصها " واعلم أنه لما أنجز الكلام إلى ذكر الفلك أتبعه قصة نوح عليه السلام لأنه أول من ألهم صنعها . وفيه أيضا تمزيج القصص بدلائل التوحيد على عادة القرآن لأجل الاعتبار والتنشيط "(1) .

المباحث اللغوية :

(الملأ) أشراف القوم .
(جِنة) أى جنون .
(فتربصوا) أى انتظروا .
(حين) أى حين الافاقة أو الموت والقتل .

التفسير التحليلى للآيات السابقة :

بين الحق سبحانه أن العقل البشرى قاصر فى الوصول

---

(1) أنظر تفسير النيسابورى جـ ١٨ / صـ ١٣

الى الحقيقة ـ حقيقة التوحيد ـ رغم الفطرة التى فطره الله عليها ٠ ولذلك كان لابد من رسل يرسلهم الله بشرع يعيد هذا العقل الى توازنه ٠ وبدأ فى ذكر هؤلاء الرسل ٠ ومنهم نوح عليه السلام فقال (**ولقد أرسلنا**) أى بعظمتنا (**نوحا**) أى نبينا ورسولنا يدعوا قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ٠ وقد ذكرت قصه نوح ـ عليه السلام ـ فى آيات عديدة فى القرآن الكريم تفصيلا ولذلك أجملت هنا بعض الشئ ٠ وكان إرساله (**الى قومه**) الذين نشأ بينهم ولهم قوة القيام فيما يريدونه ٠٠٠

ولما ذكر إرسال نوح الى قومه بين ماقاله لهم حين أرسل اليهم بقوله ٠ (**قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره** ٠٠) فبين أنه دعاهم مناديا لهم بما يتألف به قلوبهم (**ياقوم**) أى الذين لا أتهم بدعوتهم للحق ٠ وهذا الحق هو (**اعبدوا الله**) أى المتصف بكل جلال وكمال ٠ فهو المستحق للعبادة لأنه (**مالكم من اله غيره**) فهذه هى كلمه الحق التى لا تتبدل ، يقوم عليها الوجود ويشهد بها كل من فى الوجود ٠٠

(**أفلا تتقون**) أى هلا تتقون بمعنى تخشون ربكم الذى خلقكم وتولدوا تلك الخشيه عندكم تقواكم له ومراقبتكم اياه ٠

لأنه أهل لذلك ·

ويحضرنى فى هذه المناسبة ذلك الاثر الذى ورد فيـــه
" أن رجلا سأل موسى عليه السلام قائلا له سل الله عنـــى ··
هل أنا من أهل الجنه أم من أهل النار · ؟
فأخبره الله أن الرجل من أهل النار · فرجع موسى وأخبـــر
الرجل ماعرف عنه · فرجع الرجل وبعد مدة من الزمن أخبـــر
الله ـ سبحانه ـ موسى أن الرجل من أهل الجنه وأن اللـــه
يحبه فرجع موسى وبحث عن الرجل · وسأله عن حقيقتـه · ومـاذا
فعل بعد أن علم أنه من أهل النار ·· حتى صار من أهـــل
الجنه ·· ؟
فقال الرجل : ياموسى اخبرتنى أننى من أهل النــــار
فرجعت وعدت حساباتى فى عبادتى وبحثت فى المخلوقات كلهـــا
أيها يستحق العبادة فلم فى الكون كله يستحق العبادة الا الله
فعبدتـــه ·· "

وهذه الكلمة التى جاء بها نوح عليه السلام (**اعبـــدوا الله مالكم من اله غيره**) قد أتفقت عليها كل الرسالات حتـــى رساله محمد ـ صلى الله عليه وسلم أنه قال :ـ
" أفضل ماقلت أنا والنبيون قبلى : لا اله الا الله " ··

ولما بين ماأرسل به نوح عليه السلام . بين موقف قومه منه وجوابهم عليه بقوله سبحانه — مصورا حالهم — **(فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ماهذا الا بشر مثلكم)** وعطف بالفاء التى تدل على الترتيب والتعقيب كأنهم بذلك لم يفكروا فيما جاءهم به ولكن كانوا متسرعين فى الرفض والعناد ولذلك عطف بالفاء . فى قوله **(فقال)** .

وبين أن المعترضين على دعوته هم ساده القوم وأشرفهم . وكفروا بمعنى ستروا مرائى عقولهم عن ادراك الحقيقة ..

وذكر الجار والمجرور **(من قومه)** يدل على أن هناك منهم من آمن به وأتبعه وصدقه .

وقد أخطأ من كفر من قوم نوح — عليه السلام — لأنهم لم يناقشوا ماجاءهم به وجعلوا همهم الحكم بالرسول على الرساله . فما دام الرسول بشرا لا تقبل رسالته .

قال صاحب الظلال :—

" فهم لايستطيعون التخلص من النظرة الضيقة المتعلقة بأشخاصهم . وبشخص الرجل الذى يدعوهم . ولا يرتفعون إلى الافق الطليق الذى ينظرون منه الى تلك الحقيقة الضخمة مجردة عن الاشخاص والذوات .. فهم يتركون تلك الحقيقة الكبرى التى

يقوم عليها الوجود · ويشهد بها كل مافى الوجود ليحدثـــوا عن شخص نوح ".[1]

وفى الآيات السابقة أدلة واهية اعتمد عليها قوم نوح فــى رد رسالته وهى :

أولا : أن نوحا بشر ولايجوز للرسول أن يكون بشرا ··
ثانيا : وأنه مثلهم لايجوز أن يتفضل بدعوه ولا رسالة ··
ثالثا : أنهم ادعوا ـ عنادا ـ عدم مجئ الرسل الى آبائهـــم قبلـــــه ··
رابعا : أن نوحا مصاب بالجنون لاتؤمن دعوته ··
خامسا : أن الله لو أراد ارسال أحد اليهم لأنزل ـ بذلـــك ملائكه من عنده ··

ولنا مع كل شبهة من هذه الشبه الواهية وقفه حتـــــى نبين مدى الجهل والصلف والعمى الذى حال بين قوم نـــوح وبين الهدايه ·

وعبروا عن الشبهة الأولى بقولهم (**ماهذا الا بشر مثلكم**) وكأن الرسالة لايقوم بها بشر بل ملك من الله تعالى ـ وغاب عنهم أن للملك طبيعته وخلقته وصفاته التى تختلف عن الانسان ·

---

(١) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٦٤ ·

فسبيل الفهم عنه شاق وصعب ان لم يكن مستحيلا قال تعالـى :
" ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مـــــا يلبســـــــون " (١)

أما إذا كان الرسول من البشر فالفهم عنه ٠ والأخذ منـه يكون ميسرا سهلا للمرسل اليهم وعبروا عن الشبهة الثانيه بقولهـم (**يريد أن يتفضل عليكم**) ٠٠ والمعروف أن الرسل لا ينظـــرون إلى مهام رسالاتهم على أنها مغنم دنيوى يتفضلون به علــــى الناس بقدر ما هى مسئولية عظيمة أمام الله تعالى ٠٠

ولذلك رفض الرسول- صلى الله عليه وسلم -أن يولى عمـــــه العباس منصبا طلبه العباس فقال له الرسول ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ : ياعمى إنا لانولى هذا الأمر أحدا طلبه أو حـــرص عليه " ٠

وعبروا عن الشبهة الثالثة التى خلاصتها أن الله لـــم يرد أن يرسل اليهم أحدا لأنه لو أراد ذلك لأرسل ملائكـــه بقولهم (**ولو شاء الله لأنزل ملائكه**) وذلك لعلو شأنهـــم ٠ ووقور علمهم ٠ وكمال قوتهم ٠٠ وظنوا هذا الظن لأنهم لايجدون فى أرواحهم تلك النفحة العلوية التى تصل البشر بالملأ الاعلـى ،

---

(١) سورة الانعام آيه (٩) ٠

وتجعل المختارين من البشر يتلقون ذلك الفيض العلوى ويطيقونه ويحملونه الى إخوانهم من البشر .

ومن الشبهة الرابعة قالوا (**ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين**) . " يعنون أن نوحا ـ عليه السلام ـ ماسمعوا به أنه نبى .. أو ماكلمهم به من الحث على عبادة الله ونفى اله غيره . أو من دعوى النبوة .. وذلك اما من فرط عنادهم . أو لأنهم كانوا فى فترة متطاولة "[1] ..

ومن الشبهه الخامسة أنهم قالوا ـ كذبا ـ (**إنْ هو إلا رجل به جنة**) أى ما هو الا رجل قد أصيب بالجنون .. فلا تقبل دعوته لأنه لايؤتمن عليها .

ومن أجل ذلك قالوا (**فتربصوا به حتى حين**) أى . أنتظروا به حتى يفيق مما هو فيه من الجنون وينجلى أمره والا قتلتموه ...

ولما لم يجد نوح من قومه الا اللدد والعناد والاذى . ولم يجد عندهم منفذا إلى تلك القلوب الجامدة المتحجرة إلا أن يتوجه إلى ربه وحده . يشكوا اليه ضعفه وهوانه على الناس ويستعجل منه النصره على قومه بسبب تكذيبهم إياه بقوله

---

(١) أنظر تفسير البيضاوى جـ٢ / صـ١٠٥ .

(قال) أى نوح (رب أنصرنى بما كذبون) .. " والمعنى أهلكم بسبب تكذيبهم اياى ا ذ فى نصرته اهلاكهم .. أو يكون المعنى : أبدلنى من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم أو المعنى انصرنى بانجاز ماكذبونى فيه وهو وعدهم العذاب فى قولـــــه (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) "[1] .

ولما طلب نوح ـ عليه السلام ـ النصره من ربه علـــــى ايذاء قومه كان الجواب سريعا من قبل الحق ـ سبحانـــــه ـ ولذلك عطف بالفاء التى تدل على الترتيب والتعقيب فـــــى قوله (فأوحينا اليه أن أصنع الفلك بأعيننا ووحينا) ..

يقول صاحب الظلال : ـ

" وعندما يتجمد الاحياء على هذا النحو ، وتهم بالحركه إلى الأمام ، فى طريق الكمال المرسوم فتجدهم عقبة فـــــى الطريق .. عندئذ اما أن تتحطم هذه المتحجرات واما أن

تدعها فى مكانها وتمضى .. والأمر الأول هـــو الذى حدث لقوم نوح ذلك أنهم كانوا فى فجر البشرية وفـــى أول الطريق فشاءت ارادة الله أن تطيح بهم من الطريق "[2] .

وحينما حكم الله بالهلاك على قوم نوح أمره أن يصـــنع

---

(١) أنظر تفسير النيسابورى جـ١٨ / صـ١٤ .
(٢) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٦٥ .

السفينة حتى يأخذ بالأسباب ويكون لنا فيه الأسوة الحسنه في بذل الطاقة البشرية فيما هو موكول الينا .

ولذلك صنع نوح السفينة بيده وعبر الحق ـ سبحانه ـ بقوله (بأعيننا ووحينا) " أى ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا . لا تلحقها آفة . ولايعتريها نقص . وعبر بالعين التى يغلب عليها حفظ الشئ من الاختلال والزيغ .. وذلك على سبيل المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريق التمثيل "(١) .

ومعنى (ووحينا) أى أمرنا وتعليمنا لك كيف تصنع .. ونفذ نوح أمر ربه آخذا بالاسباب " ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون "(٢) .

ثم جعل الله علامة للبدء بعملية التطهير من دنس الشرك والوثنية والظلم والظالمين التى أبتليت الأرض بهم بقوله :
(فاذا جاء أمرنا) أى عذابنا بأمرنا (وفار التنور) أى فار الماء منه والتنور : هو الموقد أو الفرن وأطلق على منابع الماء على سبيل المجاز .

" روى أنه قيل لنوح ـ عليه السلام ـ اذا رأيت الماء

(١) أنظر تفسير القاسمى جـ١٢ / صـ٣٣٩٧
(٢) سورة هود آيه (٣٨)

يفور من التنور فاركب وكان تنور آدم فصار إلى نوح وكان من حجارة . واختلف فى مكانه فقيل فى مسجد الكوفه .. وقيل بالشام .. وقيل بالهند "(١) .

ومع ركوبك فى السفينة (فاسلك فيها) أى أدخل فى السفينة . وكل السفن يكون الركوب على ظهرها الا سفينة نوح . لأنهم كانوا بداخلها لاعلى ظهرها لأن السماء فوقهم قد فتحت عيونا ...

(من كل زوجين اثنين) من أنواع الحيوان والطيور والنبات المعروفة لنوح فى ذلك الوقت الميسره ـ كذلك ـ لبنى الانسان (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) وهم الذين سبق الحكم بكفرهم وهلاكهم وكذبهم فاستحقوا ـ بذلك ـ الهلاك والبوار ..

ثم يصدر الأمر الأخير لنوح عليه السلام ألا يجادل فى أمر أحد . ولايحاول انقاذ أحد ولو كان أقرب الاقربين اليه ممن سبق عليه القول بقوله ـ سبحانه ـ (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) فهم قد ظلموا بادعائهم الانجاء من الغرق .. لأنهم ـ لا محالة ـ مغرقون .. ولأنهم ظلموا

---

(١) أنظر البيضاوى حـ ٢/صـ ١٠٥ ، والنسفى حـ ٣/ صـ ١٢٠

أنفسهم بالاشراك والمعاصى ٠٠ ومن هذا شأنه لا يشفع لـــه ولا يشفع فيه ٠٠ لأن سنة الله لا تحابى ٠ ولا تنحرف عـــن طريقها الواحد المستقيم من أجل خاطر ولى أو قريب ٠٠

وبعد ذلك أمره أن يشغل نفسه بما هو أهم وذلك بقوله ـ سبحانه ـ (**فاذا استويت أنت ومن معك**) ٠٠ وجعـــل الخطاب لنوح عليه السلام فى قوله (**على الفلك فقل الحمد لله**) لأن الخطاب للنبى خطاب لأتباعه من باب أولى ٠٠ ولأن الخطاب من أول الحادثة موجه الى نوح عليه السلام ٠٠ وأمرهم أن يحمدو الله ٠ الذى لا يحمد على مكروه سواه لأنه أهل للحمد فهـــو رب العالمين ٠ وفى هذا تأديب وتوجيه للمؤمن أن يتذكر ربـــه ويجأر اليـــه بالحمد والثناء على الله حينما ينجيه من أمر مهلك أو تجلب اليه نفسع ٠٠ وحمدهم فى الآية لأنه الذى نجاهم مـــن القوم الظالمين ٠٠ ونجاهم من الغرق الذى حكم به على الظالمين من قومه ٠٠ وعبر عن ذلك بقوله تعالى (**الذى نجانا من القـــوم الظالمـــين**) ٠٠٠

ثم أمره ـ سبحانه ـ أن يكثر الدعاء لله تعالى بـــأن ينزله المنزل الطيب والآمن بقوله (**وقـــل**) يانوح (**رب أنزلـــنى منزلا مباركا**) وبين سبب ذلك بقوله (**وأنت المنزلين**) ٠

" فهكذا يحمد الله ٠ وهكذا يتوجه اليه ٠ وهكـــذا

يوصف ـ سبحانه ـ بصفاته ويعترف له بآياته .. وهكذا يتأدب في حقه العباد . وفي طليعتهم النبيون ليكون أسوة للآخرين[1]

ثم علق الحق ـ سبحانه ـ على هذه الحادثة التاريخية مع هذا النبي الكريم وقومه بما يدل على ضرورة الاعتبار بها بقوله ـ سبحانه ـ (ان في ذلك) أي فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) أي لعبر ومواعظ (وان) وهي مخففة من الثقيلة . واللام هي الفارقة بين النافية وبينها .. ويكون المعنى : وان الشأن والقصة (كنا) بعظمتنا (لمبتلين) .. "مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد .. أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر "[2] .. وللابتلاء ألوان . ابتلاء للصبر .. ابتلاء للشكر وابتلاء للأجر .. وابتلاء للعقل . وابتلاء للتوجيه . وابتلاء للتقويم .. "[3]

---

(١) أنظر تفسير الظلال حـ ٤ / صـ ٢٤٦٦

(٢) أنظر تفسير النسفي حـ ٣ / صـ ١٢١

(٣) أنظر تفسير الظلال حـ ٤ / صـ ٢٤٦٦

الرسل ووحدة الهدف

الآيـــات :

" ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين . فأرسلنا فيهـــم رسولا منهم . أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقـــون. وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة . وأترفناهم فى الحياة الدنيا . ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلـــون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكـــم إذًا لخاسرون . أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظاما أنكـــم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون . إن هى الا حياتنـــا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين . إن هو إلا رجـــل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبـــون . قال عما قليل ليصبحن نادمين . فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين .. "

مناسبة الآيات لما قبلهـــا :

لما تعرضت الآيات السابقة لقصة نوح ـ عليه الســـلام ـ وما قوبل به من الرفض والاعراض والعناد من قومه . وبينت كيف كان مصيرهم . والعبر والمواعظ والآيات التى يجب أن يستفـــاد

بها من هذه القصة ... جاءت هذه الآيات لتحمل لنا قصة أخرى لنبى آخر هو هود ـ عليه السلام ـ مع قومه .. كما سنرى ..

المباحث اللغوية فى الآيات :

(قرنا) .. أى قوما .
(هيهات) .. أى بعيد ما تنظرون .
(غثاء) .. أى نبات يابس .
(أيعدكم) .. أى يخبركم بالحياة بعد الموت .
(الصيحة) .. أى صيحة العذاب التى أهلكتهم .

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :

بين الحق سبحانه وتعالى فى هذه الآيات قصة نبى آخر لم يصرح باسمه هنا ولا باسم من ارسل اليهم " وهو كما عليه ابن عباس وأكثر المفسرين هود ـ عليه السلام ـ ارسل الى قومه عاد . كما ذكره فى الأعراف "(1)

وقيل ان ثمود والنبى المرسل اليهم هو صالح ـ عليه السلام ـ ...

(1) أنظر تفسير النيسابورى حـ ١٨ / صـ ١٩

ولذلك عطف القصة الثانية على الأولى بحرف العطف (ثم) الذى يدل على الترتيب والتراخى لبعد الوقت بين النبيّين (أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أى أوجدنا من بعد قوم نوح ـ عليه السلام ـ قوم هود عليه السلام . ثم بين أنه لم يتركهم هملا دون رسول . بل أرسل اليهم رسولا منهم فقال سبحانه (فأرسلنا) على مالنا من العظمة (فيهم) أى فى قوم عاد (رسولا منهم) هو هود عليه السلام . منهم يعرفون حق المعرفة صادقا وأمينا ومخلصا . ولما تكلم عن الرسول . بيّن ما قاله ذلك الرسول . وما أرسل به وما أمر به لكى يبلغه الى قومه فقال ـ سبحانه ـ (ان اعبدوا الله) أى أفردوه بالعبادة لأنه صاحب العزة والعظمة (ما لكم من اله غيره) أى لا يوجد لكم من اله غير الله يرزقكم ويدفع عنكم الضراء (أفلا تتقون) عذاب الله إن خالفتم هذا الأمر ولم تقبلوا ولم تتركوا ما نكم عليه من الشرك وعبادة الأصنام والشركاء .. والملاحظ أن هذه العبارة هى بلفظها وذاتها التى قالها نوح ـ عليه السلام ـ مع اختلاف اللغات . والزمان والمكان والأشخاص وهذا ما بينه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله " أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله " ..

ولما بينت الآيات ما قاله الرسول لقومه .. بين ما قوبل به منهم فقال : (وقال الملأ الذين كفروا) وهو بذلك عطف مقالة

القوم على مقالة الرسول ليكون قد اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل .. وبينت الآيات أسباب رفضهم لدعوة الحق على لسان رسولهم أنهم (**وكذبوا بلقاء الآخرة**)

١ ـ كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة :

ومن يكفر بالله .. ويكذب بالآخرة .. فقد ترك العنان لعقله وجوارحه لتفسد فى الأرض لأنه ـ بذلك ـ لا يطمع فى جنة ولا يخاف من نار .. وذلك أشبه بطالب العلم الذى يهمل مذكراته لأنه نسى يوم الامتحان والاختبار .

٢ ـ غناهم وترفهم فى الدنيا :

بقوله (**وأترفناهم فى الحياة الدنيا**) وهذا الغنى والترف أنساهم قضية الآخرة .. والحساب والجزاء .. يقول صاحب الظلال : " والترف يفسد الفطرة ، ويغلظ المشاعر ، ويسد المنافذ ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التى تتلقى وتتأثر وتستجيب . ومن هنا يحارب الاسلام الترف ـ الفاسد والمفسد ـ ويقيم نظمه الاجتماعية على أساس لا يسمح للمترفين بالوجود فى الجماعة المسلمة ، لأنهم كالعفن يفسد ما حوله . حتى لينخر فيه السوس ويسبح فيه الدود "(١)

(١) انظر الظلال جـ ٤ / صـ ٢٤٦٧

٣ ـ انكار أن يكون الرسول اليهم بشرا منهم :

والرسول ـ فى نظرهم ـ يكون من الملائكة لا يأكل ولا يشرب ولا يفعل أفعال البشر ثم أكدوا ذلك بقولهم (**ما هذا الا بشر مثلكم**) وأكدوا ذلك بالنفى والاستثناء واذا كان بشرا مثلهم فلا فضل له عليهم برسالة . ولا زعامة دينية .. ثم أكدوا بشريته بقولهم (**يأكل مما**) أى من جنس (**تأكلون منه**) أى طعامكم وأكلكم . (**ويشرب مما**) أى من جنس (**ما تشربون**) شرابكم . وحذف .. منه من الثانى لدلالة الأول عليه ...

ثم رتبوا على ذلك قولهم ـ بعد تأكيدهم بشرية الرسول ـ (**ولئن أطعتم بشرا مثلكم**) بما بيناه من الأكل والشرب (**انكم اذا لخاسرون**) حيث أزللتم أنفسكم باتباعه وهو مثلكم .. ومن حمقهم أنهم كانوا عبيدا لمن أقل منهم .. ثم زادوا فى الاستهزاء والسخرية بالرسول وما جاء به من أمر الحساب والجزاء فقالوا : (**أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون**) وكانت هذه هى آفة كل الأمم مع رسلهم . والأسلوب فيه معنى السخرية والاستهزاء بالرسول .. واستبعاد أن يكون هناك بعث للأجساد بعدما صارت ترابا وعظاما ..ـ وقد قوبل النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا اللون من العناد والتحدى . ومن ذلك ما رواه الطبرى " قال : جاء أبى بن خلف الى رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى يده عظم رميم وهو يفتته ويذريه فى الهواء ، وهو يقول : يامحمد ، أتزعم أن الله يبعث هذا بعد ما رمى وبلى ؟ فقال : " نعم يميتك الله تعالى . ثم يبعثك . ثم يحشرك إلى النار .. ثم نزلت هذه الآيه من آخر سورة يس " وضرب لنا مثلا ونسى خلقة .. الآية "[1].

وفى هذا يقول صاحب الظلال :

" مثل هؤلاء لا يدركون هذه المعانى ، ولا يستدلون من أطوار الحياة الاولى ـ التى سبقت هذه السورة ـ على أطوارها الأخيرة ، ولا ينتبهون الى أن القوة المدبرة لتلك الأطوار لاتقف بالحياة عند مرحلة الموت والبلى كما يظنون .. لذلك يستعجبون ويعجبون من ذلك الذى يعدهم أنهم مخرجون ويستبعدون فى جهالة أن ذلك يكون .. ويجزمون فى تبجح أن ليس هناك إلا حياة واحدة وموت واحد . ـ يموت جيل ويحيا بعده جيل فأما الذين ماتوا وصاروا ترابا وعظاما ، فهيهات هيهات الحياة لهم "[2] .. وزادوا فى الاستبعاد بقولهم (هيهات هيهات لما توعدون) وهيهات : اسم فعل ماضى بمعنى بعد .. والتكرار له يفيد تأكيد النفى .. وفاعل بعد

---

(١) أنظر تفسير الطبرى جـ ٢٣ / صـ ٢٠
(٢) أنظر الظلال جـ ٤ / صـ ٢٤٦٧

مضمر تقديره : بعد التصديق أو الوقوع أو يكون الفاعـــــــل ما توعدون . واللام زائدة .. والتقدير : بعد ما توعدون مـــن البعث (ان هي) .. " هذا ضمير لا يعلم ما يعني بـــه الا بما يتلوه من بيانه "(١) وأصله إن الحياة (الا حياتنا الدنيـا) ، ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها ويكـــون المعنى :

" لا حياة الا هذه الحياة التي نحن فيها ودنت منـــا . لأن أن النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالـــة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي لنفي الجنس "(٢) .

(نموت ونحيا) أي يموت بعضنا ويولد بعضنا (وما نحـــن بمبعوثين) بعد الموت ثم إنهم لا يقفون عند هذه الجهالـــة ، والغفلة عن تدبر حكمة الحياة التي تكشف عنها أطوارها الأولى .. إنما يتهمون رسولهم بالافتراء على الله ، ولا يعرفون اللـــــه الا في هذه اللحظة ولهذا الغرض من اتهام الرسول حيث يقولوا :

(ان هو) أي ما هو (الا رجل افترى على الله كذبـــــا) ورجل نكرة : للاحتقار ، وكذبا نكرة تفيد : التعظيم .. ثـــم أعلنوا عن نواياهم وعدم ايمانهم به بقولهم (وما نحن له) أي الرسول

---

(١) أنظر تفسير النسفي حـ ٣ / صـ ١٢٢
(٢) " " " " "

(**بمؤمنين**) بمصدقين وموقنين ..

ولما بينت الآيات موقف القوم من رسولهم وما لحقه منهم من الأذى والعناد بين هذه الآية ما قاله الرسول بعد ذلك بقوله :

(**قال**) أي الرسول ـ هود عليه السلام ـ (**أنصرني بما كذبون**) . أي انصرني عليهم وانتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي ..

ثم كان الجواب من الله تعالى (**قال عما قليل**) عن زمن قليل .. وبذلك تكون قليل صفة (**ليصبحن نادمين**) عن التكذيب عند معاينتهم العذاب ..

ودلالة على سرعة العذاب الواقع عليهم عطف بالفاء قوله (**فأخذتهم الصيحة**) " أي صيحة جبريل كما في الأعراف وهو ومعنى (**بالحق**) أي بالعدل كقولك : فلان يقضي بالحق .. "(1) وهذا يدل على أنهم قوم صالح .

وقال ابن كثير :

" والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف

(1) أنظر تفسير النيسابوري حـ ١٨ / صـ ٢١

القوى البـــارد "(١) .

كقوله تعالى : " تدمر كل شيئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهـــــم "(٢) .

ثم تبين الآية حالهم بعد العذاب بقوله :

(فجعلناهم) أى بما لنا من العظمة وقوة الأخذ والنكال. هم : أى قوم هود - عليه السلام (غثاء) أى كغثاء السيل .. وهو ما يحمله السيل لا وزن ولا قيمة له ...

ولما كانت هذه نهايتهم الأليمة زادهم الله مهانة واحتقار طردهم من رحمة الله . والبعد عن اهتمام الناس حيث قـــال - سبحانه - (فبعدا للقوم الظالمين) " يحتمل الاخبار ... والدعاء ، وبعدا مصدر : بعد . اذا هلك . وهو من المصادر التى تذهب بأفعال لا يستعمل اظهارها .. واللام لبيان مـــن دعى عليه بالبعد والطرد .. ووضع الظاهر موضع ضميرهـــــم للتعليـــل "(٣) .

وعرف الظالمين لكونهم مذكورين صراحـــة .

---

(١) انظر ابن كثير حـ ٥ / صـ ٤٦٨ طبعة الشعب .
(٢) سورة الأعـــراف آيـــة ٢٥
(٣) انظر تفسير النيسابورى

عاقبة المكذبــين

الآيـــات :

" ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين . ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون . ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمـة رسولها كذبوه . فاتبعنا بعضهم بعضا . وجعلناهم أحاديـث . فبعدا لقوم لا يؤمنون . ثم أرسلنا موسى وأخاه هـــارون بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قومـا عالين . فقالوا : أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابـــدون . فكذبوهما فكانوا من المهلكين . ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون . وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربـوة ذات قرار ومعين . يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحـا . انى بما تعملون عليم . وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكـم فاتقـــون " .

مناسبة الآيات لما قبلهـا :

لما تكلمت الآيات السابقة عن قصة هود ـ عليه السلام ـ مع قومه عاد .. جاءت هذه الآيات التى بين أيدينا لتستعرض قصص من جاء بعده من الأنبياء والرسل وتبين موقف أممهم منهم .

ولذلك كان العطف بثم التى تدل على انفصال وتأخر قصة اللاحقين عن قصة السابقين .

المباحث اللغوية :

(أنشأنا) : أى أوجدنا .
(تترى) : أى متتابعين .
(أحاديث) : أى أخبارا تروى .
(وسلطان مبين) : أى حجة بينه .
(ربوة) : أى مكان مرتفع .
(قرار) : أى مستقر .
(معين) : أى ماء جارى تراه العيون .
(أمتكم) : أى دينكم . وملتكم .

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :

وجريا على سنة الآيات السابقة فى سرد القصص الخاص بالأنبياء مع أقوامهم بين الحق أنه أوجد بعد اهلاكه للسابقين وقطع دابرهم بقوله : (ثم أنشأنا من بعدهم) أى أوجدنا بعد قوم هود (قرونا آخرين) ويعنى بهم قوم صالح ولوط وشعيب . وغيرهم ... كما تقدم فى الأعراف وهود ثم بين أنهم

عاندوا وكذبوا فأهلكهم الله وهم عند الهلاك (**ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون**) .. قال الكعبى " معنى الآية أنهم لا يتقدمون وقت عذابهم إن لم يؤمنوا ، ولا يتأخرون عنه ، ولا يستأصلهم إلا إذا علم منهم أنهم لا يزدادون الا عنادا . وأنهم لا يلدون مؤمنا ، وأنه لا نفع فى بقائهم لغيرهم ولا ضرر على أحد فى هلاكهم "[1] .

ثم بين الحق ـ سبحانه ـ أنه أرسل رسله الذين أتوا بعد هذه القرون متواترين . بقوله :

(**ثم أرسلنا**) نحن على ما لنا من العظمة (**رسلنا**) أرسلناهم بشرعنا وكتبنا إلى أممهم (**تترى**) أى متواترين .. والتاء الأولى بدل الواو والأصل وترا . وهو الفرد . ويكون المعنى : أرسلنا رسلنا واحدا واحدا ...

ولما بين أنه أرسل رسله متواترين بين موقف الأمم منه فقال :

(**كلما جاء أمة رسولها كذبوه**) ـ وكلما كذب المكذبون أخذتهم سنة الله بالعقاب والجزاء المناسب (**فأتبعنا بعضهم بعضا**) فى الاهلاك .. وحينما كانت تتقدم بهم السنون

(١) أنظر غرائب القرآن حـ ١٨ / صـ ٢١

بعد العقاب بين إخبارهم بقولهم (**وجعلناهم**) أي الأمم المهلكة (**أحاديث**) واخبارا وقصصا يضرب لمن يأتي بعدهم الاتعاظ..

ثم كان **الدعاء** عليهم بالبعد والطرد والاستبعاد من العيون والقلوب بقوله (**فبعدا لقوم لا يؤمنون**).. وادخال حرف النفي "لا" على المضارع يؤمنون يدل على عدم ايمانهم في الحال أو الاستقبال .. وقطع الرجاء في ايمانهم، ولما أجمل في قصص الأنبياء تعرض لقصة سيدنا موسى — عليه السلام — بشيء من التفصيل بقوله — سبحانه — :

(**ثم أرسلنا**) أي بعظمتنا .. وعطف بثم لوجود الفارق الزمني بين موسى — عليه السلام — ومن تقدمه من الأنبياء .

(**موسى وأخاه هارون بآياتنا**) التسع وهي علامتنا التي تدل على أن موسى مرسل من عندنا .. وما معه من الآيات تدل على صدقه في دعوته فيجب اتباعه (**وسلطان مبين**) وهي الحجة البينة والواضحة على صدقه " وهي نفس الآيات عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيهاً على جمعها لعنوانين جليلين." (1)

" ويجوز أن يكون المراد بالسلطان العصا وافرادها بالذكر لأنها كانت أول المعجزات التي أكدت صدق موسى عليه

---

(1) أنظر تفسير القاسمي جـ١٢ / صـ٤٤٠٠

السلام . وتعلقت أى بالعصا معجزات أخرى كثيرة "[1] .

ثم بين إلى من أرسل اليه موسى بهذه الآيات البينات بقولـه :-

(إلى فرعون وملائه) ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى وترك ماهم عليه من الشرك والوثنية .. لكن ماموقف فرعون من موسى ..؟ يبين ذلك قوله :-

(فاستكبروا) عن الايمان بذلك الرسول .. والعطف بالفاء يدل على أن فرعون وقومه لم يفكروا - أقل تفكير - فيما جاءهم به موسى وهارون .

والرد فى الرد بالاستكبار والعلو .. ولذلك قال - سبحانه - (وكانوا) أى فرعون وملأه (قوما عالين) متكبرين وقاهرين بنى اسرائيل بالظلم ثم بينوا جانب آخر من جوانب صدهم عن السبيل بقولهم على سبيل الاسلوب الاستفهامى الاستبعادى (فقالوا أنؤمن لبشرين) أى موسى وهارون (وقومهما) أى بنى اسرائيل (لنا عابدون) أى خادمون ومنقادون .. وتقديم الخبر على المبتدأ يفيد القصر .. أى قصر بنى اسرائيل على عبادة فرعون ..

---

(١) أنظر تفسير البيضاوى جـ٢ / صـ١٠٨ .

ومن الآيات يمكن أن نحدد لك ـ عزيزى القـــارئ ـ أسباب ضلال فرعون

الأول ـ الاستكبار عن موسى وهارون ودعوتهما ٠
الثاني ـ العلو والقهر والتسلط منهم على بنى اسرائيل ٠
الثالث ـ إستبعاد أن يكون الرسول بشرا ٠٠ خصوصا من قـــوم أزلوهم واستعبدوهم ثم ماذا كانت النتيجه ٠٠؟ ؟

توضح ذلك الآيات التالية :ـ

(**فكذبوهما**) أى أن فرعون وقومه كذبوا موسى وهارون ٠ ولذلك عاد الضمير عليهما للمثنى ٠٠٠ فكان الجزاء السريـــع ٠٠ والذى دلت عليه الفاء (**فكانوا من المهلكين**)بالغـــــرق ٠٠ (**ولقد آتينا موسى الكتاب**) التوراه (**لعلهم**) أى بنـــــى اسرائيل (**يهتدون**) ولايجوز أن يعود الضمير على فرعـــــون وقومه ٠ لأن التوراة نزلت بعد اهلاكهم بعد اهلاكهم ٠ وكـــان ذلك بالغرق فى بحر قزوين وتقدم ذلك تفصيلا فى سوره هود ٠٠٠

ثم تسير بنا الآيات عبر تاريخ السابقين تجمل قصـــــص بعضهم وتفصل الآخر حسب السياق والسباق وورود القصة فـــى القرآن الكريم ٠٠ وتعرض بايجاز شديد قصة عيسى ـ عليه السلام وأمه مريم بقوله ـ عز من قائل ـ (**وجعلنا**) بما لنا مـــــن

العظمة (ابن مريم) عيسى — عليه السلام — (وأمه آيــــه) أى علامة .. " وذلك بولادتها إياه من غير بشر يمسهـــــا . فالآية أمر واحد مضاف اليهما .. أو جعلنا كلا منهما آيــــــه عيسى لأنه تكلم فى المهد وظهرت معجزات أخر .. وأمه لأنهـــا ولدته بمفردها من غير بشر والتقدير :

جعلنا ابن مريم آيه . وأمه آيه . فحذفت من الأول لدلالة الثانى "[1] . ثم بين الحق — سبحانه — مظاهر حفظه لمريم وابنها بقوله (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) .. حول هذا المعنى يقول صاحب الظلال :—

" وتختلف الروايات فى تحديد الربوة المشار اليها فـــى النص .. أين هى أكانت فى مصر ..؟ أم فى دمشق..؟ أم فى بيت المقدس ..؟ وهى الاماكن التى ذهبت إليها مريم بابنهـــــا فى طفولته وصباه — كما تذكر كتبهم — وليس المهم تحديـــــد موضعها .. وانما الاشارة إلى ايواء الله لهما فى مكان طيـــب ينضر فيه النبت . ويسيل فيه الماء . ويجد أن فيه الرعايـــــة والايواء "[2] .

---

(١) أنظر أنوار التنزيل جـ٢ / صـ١٠٨

وتفسير النيسابورى جـ١٨ / صـ١٣

(٢) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٦٩

" قال المفسرون :—

سبب الايواء أنها فرت بابنها عيسى إلى الربوة . وبقيت بها اثنتى عشرة سنه وانما ذهب ابن عمها يوسف . ثم رجعت إلى أهلها بعد مامات ملكهم "(١) .

وبعد هذا القصص في سيرة — بعض الأنبياء السابقين — يأتى هذا النداء الموجه اليهم جميعا متخطيا بذلك حدود الزمان والمكان . وكأنهم مجتمعين في مكان واحد وزمان واحد .. حيث يقول — سبحانه — (**يا أيها الرسل**) ..

وللمفسرين حول هذا النداء عدة تأويلات يمكن اجمالها بايجاز :

الأول : النداء لكل رسول فى زمانه ومكانه بهذا النداء .. وفى هذا ماروى : أنه صلى الله عليه وسلم رد لبنا بعثت به أمراة اليه فى يوم شديد الحر وكان صائما .. وقال لها " بذلك أمرت الرسل ألا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا .. "(٢)

الثانى : أن المراد به أى الخطاب — عيسى عليه السلام — وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لشرفه وهو من قبيل " يأيها النبى اذا طلقتم النساء .. "

(١) انظر غرائب القرآن جـ١٨ / صـ٢٣
(٢) انظر ابن كثير جـ٥ /صـ٤٧١ . طبعة الشعب

الثالث : أن المراد به خطاب نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم . لأنه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل .
وخوطب بالجمع تعظيما لشأنه ..

ولما نادى الله الرسل ـ عليهم السلام ـ بين ما من
أجله كان النداء وهو (**كلوا من الطيبات**) وفى ذلك توجيه
للمرسل اليهم من باب الأولى أن يطيبوا من أكلهم فلا يأكلون
الحرام .. وفيه ـ أيضا ـ تأكيد لبشرية الرسل حيث أمرهم
بأخص أمور البشر وهو الأكل والشرب وأطلق الأكل وأراد به
الأكل والشرب .. وحثهم على إصلاح البشرية بالعمل الصالح
بقوله (**واعملوا صالحا**) فهو المقصود منكم . وحذف المفعول
به وذكر صفته لتكون الآية متضمنه كل الاعمال الصالحه .

ثم بين الحق ـ لهم ـ اطلاعه واحاطه بكل شئ بقوله
(**إنى بما تعملون عليم**)فأجازيكم على كل شئ .. لأن هذا
شأنه . فصفه علمه ـ سبحانه ـ لا يحدها حاجز الزمان أو المكان
أو الحكم لأنه علم ماكان لما سيكون ومالم يكن لوكان كيف كان
يكون ..

ثم بين الحق سبحانه وحده العقيدة ووحده الهدف ..
ووحده الطريق .. ووحده المعبود . سبحانه بقوله ـ عز من قال

(**وإن هذه أمتكم**) أى ملتكم ، وعقيدتكم وأصول شرائعكـــــم (**أمة واحدة**) .. وأمة منصوبة على الحال .. وواحدة نعـت حقيقى منصوب لأنه يتبع المنعوت .

ثم بين ــ فى جلاء ووضوح ــ وحده المعبود وعظمتـــه بقوله (**وأنا ربكم فاتقون**) أى فخافوا عقابى فى مخالفتكم أمرى . أو يكون المعنى ــ وهو المناسب ــ لخطاب الرسل فداومـــوا على تقواى وخشيتى .. وهو من قبيل قوله تعالى " يأيهـــا النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين . إن الله كان عليمـا حكيمـــا .. " (1)

---

(١) سورة الاحزاب آية ١

مواقف متناقضـــــــــه

"الآيـــــات :

" فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهـــــــم
ـرحون • فذرهم فى غمرتهم حتى حين • أيحسبون أنما نمدهـــم
ـه من مال وبنين • نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ••

إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون • والذين هـــــم
ـآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون • والذيــــن
ـؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون • أولئـــك
يسارعون فى الخيرات هم لها سابقون ولا نكلف نفسا إلا وسعهـــا
ـدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون • بل قلوبهم فى غمرة
ـن هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون • حتـــى
إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون • لا تجأروا اليـــوم
إنكم منا لا تنصرون • قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم علـــــى
أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون •• "

مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها :ـ

بعد أن بين الحق ـ سبحانه ـ فى الآيات السابقــــه
حياة الامم مع رسلهم • وذكر مصير تلك الامم المكذبة •• ذكـــــر

فى هذه الآيات حال هذه الامم بعد الرسل السابقين . وحال الامه حينما جاءها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو النبى الخاتم . ويتعرض لذكر ماعليه العرب من غنى وعادات وتقاليد .

المباحث اللغوية فى الآيات الكريمة :ـ

(**أمرهم**) . أى دينهم
(**فذرهم**) . أى أتركهم
(**زبرا**) . أى قطعا . جمع زبور
(**أيحسبون**) . أى أيظنون
(**مشفقون**) . أى خائفون
(**غمره**) . أى ضلاله
(**مترفيهم**) . أى أغنياؤهم
(**يجأرون**) . أى يضجون ويصحون
(**تنكصون**) . أى ترجعون الى الوراء
(**سامرا**) . أى تسمرون بهذه الآيات وتجلعونها مجالا للهوكم وسمركم
(**تهجرون**) . أى تفحشون القول فى القرآن

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :ـ

.. وتمضى الآيات الكريمة لتوضح موقف الامم بعد رسلهم بعد بيان وحدة الاتجاه فى رسالة هؤلاء الرسل لأنها ذات كلمة واحده ، وعبادة واحده فاذا الناس من بعدهم أحزاب متنازعه لا تلتقى على منهج ولا طريق وهذا واضح فى قول المولى ـ عز وجل :ـ

(**فتقطعوا أمرهم بينهم**) أى فتقطعوا أمر دينهم . وجعلوه أديانا مختلفة ومتفرقة .. أو فتفرقوا وتحزبوا . وأمرهم منصوب على التميز ((زُبرا)) قطعا وهو منصوب على وجهين .

الأول : على أنه حال من أمرهم فيكون منصوبا .

الثانى : على أنه مفعول ثانى لتقطعوا لأنه متضمن معنى الجعل ..

ثم بين مشاعر القوم نحو ما عندهم من هذه القطع والتفريق لأمر الدين الواحد بقوله (**كل حزب بما لديهم فرحون**) .. أى أن كل فرقة من هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله ، مطمئن النفس ومعتقد أنه الحق ..

وحول روعة التعبير فى الآية الكريمة يقول صاحب الظلال

ـ رحمه الله ـ :ـ

" ويخرج التعبير القرآني المبدع هذا التنازع في صورة حسيه عنيفه . لقد تنازعوا الأمر حتى مزقوه بينهم مزقا . وقطعوه في أيديهم قطعا . ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده . مضى فرحا لايفكر في شئ ولا يلتفت الى شئ . مضى وأغلق على حسه جميع المنافذ التي يأتيه منها أيه نسمة طليقة أو يدخل اليه منها شعاع مضئ . عاش الجميع في هذه الغمرة مذهولين بما هم فيه ومشغولين به .. " (١)

ثم يكون الخطاب للمصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يتركهم بقوله تعالى :ـ

(فذرهم) أي أتركهم يامحمد (في غمرتهم) أي جهالتهم .. وفي ذلك تشبيه للجهل بالماء الذي يغمرهم حتى رؤوسهم .. فهم مغمورون فيه .. ثم بين أن هذا العبث والترك سيكون لأجل معين ومحدود بقوله (حتى حين) .. أي حتى وقت الجزاء والأخذ والعقاب ..

وبعد ذلك يصحح القرآن مفهومهم الخاطئ للنعم التي أنعم الله بها عليهم بقوله (أيحسبون) أيظنون (أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات) . وما

---

(١) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٧٢

فى " أنما " يمكن أن تفسر بوجهين :

الوجه الأول :ـ

أنها موصوله وتكون الجملة بعدها صلة الموصول • ويكون المعنى : أيظنون أن الذى عندهم من المال والبنين مسارعة لهم بالخيرات • ؟

الوجه الثانى :ـ

أن " ما " مصدرية تؤول مع مابعد بالمصدر •• ويكون المعنى :

أيظنون أن مدنا لهم بالاموال والاولاد مسارعة لهم فى الخيرات • ؟

ولا شك أن الاسلوب استفهامى ، توبيخى .استهزائى • ليعرفوا أن ذلك لهم من قبيل الفتنة والابتلاء والاختبار •

ولذلك وضحت الآية خطأهم وبعدهم عن الصواب بقول (بل لا يشعرون) أى العله التى من وراء ذلك المال والجاه فى الدنيا •

مناسبـــه :ـ

وبعد أن تكلمت الآيات عن صنف المتكبرين الظالميـــن التى اختلفوا حول أمور دينهم واغتروا بما عندهم من المـال والاولاد .. بين الحق صنفا آخر من الناس على النقيض مـــن هؤلاء .. وهذا هو أسلوب القرآن الكريم فى ذكر الشيــــئ ونقيضه ليظهر ـ بوضوح ـ مدى قبح القبيح . وحسن الجميـــل وروعته وذلك حيث يقول ـ عز من قائل ـ :ـ

(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون)

بين الحق ـ سبحانه ـ فى جملة خبرية مؤكده بأكثـــر من مؤكد أن صنف المؤمنين فى الدنيا خائفون من خشيـــة ربهم .. الذى تعهدهم بالخلق . والرزق والهداية فهم بسبب مراقبته وخشيه خائفون .

ولهم صفات أخرى منها : **(والذين هم بآيات ربهـــم يؤمنـــــون)** ..

والآيات تنقسم الى قسمين :ـ

١ ـ الآيات المقروءة فى الكتب المنزلة على الرسل فهـــم يؤمنون بها ويعملون بما فيها من أوامر يأتمرون بهــا ونواهى ينتهون عنها .. لأن فى ذلك صلاحهم .

٢ ـ الآيات المرئية فى الكون والتى تعطى الناظر اليها الاعتبار والاتعاظ والايمان بالخالق تبارك وتعالى٠٠

ولذلك كثيرا ما ورد الحث صراحة أو ضمنا على النظــر فى آيات الله فى كونه كما قال ـ عز من قائل ـ :

" سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبيــن لهم أنــه الحــق "

" ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهــار لآيات لأولــى الألبــاب "

" قل انظروا ماذا فى السموات والأرض٠ "

ثم بينت الآيات أن من صفاتهم أنهم لا يشركون بربهــم بقولــه : (والذين هم بربهم لا يشركــون)

وبين نفى الاشراك عنهم على اختلاف صوره مؤيدا بادخال " لا " على المضارع بعدها ، وبينت الآيات صفة رابعة وهــى قيامهم بالتكاليف المنوطة بهم دون افراط أو تفريط بقوله :

(والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعــون)

فهم ملتزمون بتكاليفهم الشرعية ٠ وحينما يأتوا بها ـ وهى

معتدلة — يأتوا بها وهم خائفون ووجل قلوبهم ظاهر .

والدليل على ذلك ما أورده الامام أحمد . عن عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت : يا رسول الله " الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة " هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر . وهو يخاف الله عز وجل ؟ . قال : " لا بنت الصديق ولكنه الذى يصلى ويصوم ويتصدق . وهو يخاف الله عز وجل ".(1) وبين سبب ذلك الوجل والخوف بأن الى ربهم وخالقهم راجعون للوقوف بين يديه فى ساعة العرض والجزاء ..

وأكد قضية الرجوع اليه فى الآخرة بالتعبير بالاسم " راجعون " . وتذكر الآيات صفتهم الخامسة بأنهم يسارعون فى فعل الخيرات يبذلون فيها قصارى جهدهم وهذا ماجعلهم لها سابقون وذلك بقوله :

(أولئك يسارعون فى الخيرات) على اختلاف أنواعها (وهم) لذلك السعى والسرعة (لها سابقون) .

والسبق قد يكون بفعل الطاعات دون الناس أو السبق للثواب أو السبق للجنة أو السبق للخيرات التى حصلت لهم فى الدنيا قبل الآخرة .

---

(1) أنظر مسند الامام احمد : جـ ٦ / صـ ١٥٩

وذلك ما يجب أن يكون عليه المؤمن من المسارعة فــي فعل الخيرات • وبذل الجهد فيها فاذا كان المنافقـــون يسارعون فى عمل السيئات والصد عن سبيل الله • وتعطيـــل الشرائع والتكاليف فالمؤمنون على خلاف ذلك لأن قلوبهــــم تستشعر يد الله وتحس نعمه وآلاءه فى كل نفس •• وفى كــل نبضــة •• ومن ثم فالمؤمن يستصغر كل عباداته • ويستقل كــل طاعاته •• كذلك هو يستشعر كل ذرة من جلال الله •• ولما تعرضت الآيات لوصف المؤمنين بالقيام بما كلفوا به دون اهمال أو تقصير بينت هذه الآية الكريمة بأن الله لم يكلف البشر بمــا لا يطاق أو المستحيل بل ان تكاليف النفوس فى حدود طاقتهـا وسعتها بقوله ـ عز وجل ـ :

(**ولا نكلف نفسا الا وسعها**) أى قدر طاقتها • لا جبر فى ذلك ولا الزام فالدين يسر فى كل تكاليف • والدليـــل على ذلك أنــه : لا صلاة واقفا للمريض الذى لا يقدر علــــى الوقوف •• ولا زكاة عند من لا مال له •• وكذلك لا صيــام للمسافر سفرا طويلا • وغير ذلك من مظاهر اليسر وبين مـدى احاطته بأعمال العباد بقولــه :

(**ولدينا كتاب ينطق بالحق**) • أى وعندنا الكتــــاب الذى لا ينطق الا بالحق •• والكتاب قد يقصد به اما :

ـ اللوح المحفوظ المدون فيه كل ما يتعلق بالخلائق قبل وجودها وما يعتريها الى قيام الساعة .

ـ أو يقصد به صحيفة الأعمال . وأنهم لا يقرءون منها يوم القيامة الا ما هو حق وصدق .. وبيّن عدالته المطلقة بقوله : (**وهم لا يظلمون**) فى شىء من الأشياء ثم تسير بنا الآيات الكريمة قدما للأمام فى وصفهم على النحو التالى :

(**بل قلوبهم فى غمرة**) أى غفلة من الجهل : والضمير يعود اما : على المؤمنين . ويكون المعنى بل ان قلوب المؤمنين فى غفلة مما عملوه من الخيرات ولا يدرون أيقبل منهم أو لا .

وبين أن لهم أعمال خلاف ذلك بقوله : (**ولهم أعمال دون ذلك هم لها عاملون**) . مستمرون فى عملها لا ينفكون عنه .

وهناك رأى آخر فى أيد الضمير يعود على الكفار والعادين فى قوله " بل قلوبهم " فى غمرة وغفلة من هذا التكليف الميسر السهل .

وبين أن لهم أعمال من الاجرام والانحراف غير هذا الذى ذكر .. وبين ملازمتهم لفعلها والمداومة عليهم .. ثم

بين موقفهم عندما يجيئهم العذاب والجزاء الرادع المفاجىء بقوله ـ سبحانه ـ :

(حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى الأغنياء العصاة والذين كان الترف سببا فى كفرهم (بالعذاب) الرادع المؤلم (اذا هم يجأرون) أى يضجون ويصيحون ثم يقطع أملهم فى النجاة حتى يضيف لهم عقابا نفسيا مؤلما زيادة على عقابه الحسّى اللاذع بقوله ـ سبحانه ـ : (لا تجأروا اليوم) بالصراخ والضجيج والسب (انكم منا لا تنصرون) فهو تعليل للنهى أو جواب له والمعنى :

لا تجأروا فانه لن ينفعكم اذ لا تمنعون منا .. أو لا يلحقكم نصرة ومعونة من جهتنا .. لكن لماذا هذا ؟ . لأنه (قد كانت آياتى تتلى عليكم) وبنى الفعل للمجهول . لأن المهم التلاوة أيا كان التالى لها رسولنا أو أحد أتباعه (فكنتم على أعقابكم تنكصون) .. وعطف موقفهم بالفاء دلالة على سرعتهم فى الرد والصد ورجوعهم عن كلمة الحق .

ثم بين القرآن كيف كان موقف أهل مكة من القرآن الكريم .. وكيف كانوا يتخذون منه مجالا للسخرية والاستهزاء ومجالا للسمر والعبث . بقوله : (مستكبرين به) والضمير يعود على التكذيب . أو للبيت وشهر استكبارهم (سامرا) أى

تسمرون بذكر القرآن (**تهجرون**) من الهجر والقطيعة . أو الهزيان فى شأنه .

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ :

" ولقد كانوا يطلقون ألسنتهم بهجر القول وفحشه فى مجالسهم . وهم يتحلقون حول الأصنام فى سامرهم بالكعبة . فها هو ذا القرآن يرسم مشهد حسابهم على ما هم فيه . وهم يجأرون طالبين الغوث فيذكرهم بسمرهم الفاحش وهجرهم القبيح . وكأنما هو واقع اللحظة . وهم يشهدون ويعيشون فيه وذلك على طريقة القرآن الكريم فى رسم مشاهد القيامة كأنه واقع مشهود .. "(١)

---

(١) أنظر الظلال حـ ٤ / صـ ٢٤٧٣

شبه واهية • وعاقبة أليمــــــة

الآيـــات :

" أفلم يدّبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهـــــــم الأولين • أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون • أم يقولون بـــه جنة • بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحـــق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهم • بل آتيناهـــــــم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون • أم تسألهم خرجا فخراج ربـك خير ، وهو خير الرازقين • وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيـــم • وإن الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون • ولو رحمناهـــم وكشفنا مابهم من ضر للجّوا فى طغيانهم يعمهون • ولقـــــد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون • حتـــى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون " •

مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها :ـ

بعد أن بينت الآيات السابقة موقف المعاندين والمستكبرين وذكرت صورة أخرى مختلفة للمؤمنين الذين يخشون الله حـــــق خشيته • وبينت صفاتهم ثم تعرضت لموقف أهل مكة مـــــن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعنادهم له والسخريـــــــة بالقرآن •• وحالهم عند العذاب والجزاء ••

تأتى هذه الآيات الكريمة لتبين فى أسلوب استفهامى توبيخى ماعليه حالهم من العناد وعدم اتباع الرسول .. وأنهم أصحاب أهواء تدعو الى الفساد والفوضى ـ لو نزلت بها الشرائع لفسدت ـ بها ـ السموات والأرض .

المباحث اللغوية فى الآيات :ـ

(جِنّة) : أى جنون . وخبل

(بذكرهم) : أى القرآن الكريم

(خرجا) : أى أجرا على التبليغ

(لناكبون) : أى لراجعون عن الطريق الصحيح

(للجوا) : أى تمادوا

(يعمهون) : أى يتخبطون

(استكانوا) : أى خضعوا

(وما يتضرعون) : أى وما يدعون لكشف العذاب عنهم

(مبلسون) : أى آيسون من كل خير لأنهم مطرودون من رحمه الله

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :ـ

ثم تنتقل بنا الآيات حول سبب كفر أهل مكه . وعنادهم فى أسلوب استفهامى بحيث يكون مضمون كل جمله استفهاميه

سببا من أسباب كفرهم وهذا أشد زجرا وتوبيخا .. وهذه هى الآيات ..

(أفلم يدبروا القول) أى القرآن الكريم . وقد نزل بلغتهم التى برعوا فيها فاعملوا فيه عقولهم حتى يقفوا على جانب الصواب فيه ..

وبذلك يكون السبب الأول فى عدم إيمانهم أنهم لم يتدبروا كتاب الله .. والسبب الثانى فى قوله تعالى : (أم جاءهم) الفاعل ضمير مستتر يعود على محمد . أو مقصود أمر الرسالة،والمفعول به ضمير متصل يعود على أهل مكة .

(ما لم يأت آباءهم الأولين) .. وللمفسرين فى معنى الاستفهام رأيان :

الأول : أنه للتقرير بمعنى أنه لم يأت آباءهم رسول قبله لوجود فاصل زمنى بينه وبين عيسى — عليه السلام — .

الثانى : تعجبى لأن محمدا قد سبقه أنبياء كثيرون فى مجال الدعوة والهداية من قبل الله — تعالى — .

ويكون السبب الثانى : أنهم ظنوا محمدا يدعا فــــى مجال الدعوه ولم يُسبق بها. وتمضى الآيات فى توبيخ أهل مكـــه على عنادهم بقوله :

(أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) ·· ولا شــك أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان معروفاً فى قومـــه بالصادق الأمين ·· يعرفون شخصيته ويعرفون نسبه · فكـــان بيته مستقر لأماناتهم وودائعهم ··

وبذلك يجب قبول دعوته والامتثال به وغير ذلك يكـــون محض عناد وصلف ·· وزيادة فى التوبيخ والتقريع يقول الحــق ـ سبحانـــــه ـ

(أم يقولون به جنة) أى أيظنون به ويقولون عنـــه أنه مجنون وبالتالى يحق رفض دعوته ·· مع أنهم لم يروا منـــه إلا العقل الكامل فهم لايعرفون عنه زلة فى تاريخ حياته بينهـــم من الطفوله حتى الكهوله ·

يقول المرحوم سيد قطب :ـ

" انه ما من شبهة من هذه الشبه يمكن أن يكون لها أصل ـ إنما هى كراهية أكثرهم للحق · لأنه يسلبهم القيم الباطلة التـــى بها يعيشون · ويصدم أهواءهم المتأصله عندهم "(1)

---

(١) أنظر الظلال ص٢٤٧٢ ·

ثم تأتى الآيات الكريمة لتضع الحقيقة والواقع التـــى لا مجال للشك فيها بقول (**بل جاءهم بالحق**) والمراد بالحق هو القرآن دستور شريعه الاسلام . " بل " الاضراب أى ليس الامر كما زعموا وكما ظنوا ..

ولكن العناد والصلف جعل (**وأكثرهم للحق كارهون**) وعطفت بالواو على ما قبلها .. والمعروف أن الحق لا يتفق مع أهوائهم وطباعهم . ولذلك كانوا له كارهون ..

وكلمه " أكثرهم " تدل على أن أقلهم كان يعرف الحق . ولكنهم لا يكرهونه ومنعهم عن الدخول للأسلام والخوف من قالة الاعداء كما يحكى فى اسلام أبى طالب ..

وللجملة اعرابــــان :-

الأول : أنها حالية توضح كراهة أكثرهم للحق ..

الثانى : أنها خبرية مستأنفه ..

ثم بين الحق - سبحانه - المخاطر والاهوال والفساد الذى يعم السموات والأرض لو أن الشرع جاء وفقا لأهوائهم وعاداتهم وتقاليدهم بقوله

(**ولو اتبع**) أى وافق (**الحق أهواءهم**) وطباعهم

(لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) وهذا يدل شده هذا الفساد التى عم الظرف والمظروف معا .

وفى تفسير هذه الآيه بالاسلوب السهل العذب يقول الامام المرحوم سيد قطب :ـ

" فالحق واحد ثابت . والاهواء كثيره متقلبة .. وبالحق الواحد يدبر الكون كله . فلا ينحرف ناموسه لهوى عارض .. ولا تتخلف سنته لرغبة طارئه .

ولو خضع الكون للأهواء العارضة . والرغبات الطارئه لفسد كله . ولفسد الناس معه ولفسدت القيم والأوضاع . واختلت الموازين والمقاييس .. وتأرجحت كلها . بين الغضب والرضى ، والكره والبغض ، والرغبة والرهبه ، والنشاط والخمول . وسائر ما يعرض من الأهواء والمواجد والانفعالات والتأثرات .. وبناء الكون المادى واتجاهه إلى غايته كلاهما فى حاجه إلى الثبات والاستقرار والاضطراد على قاعدة ثابته . ونهج مرسوم . لا يتخلف ولا يتأرجح ولا يحيد "(١) ..

وبعد ذلك تضرب الآيات عن أهوائهم الباطله وتبين أهمية القرآن الكريم بالنسبة لهم حيث يقول ـ سبحانه ـ (بل

---
(١) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٧٥

آتيناهم) أى أهل مكه والمعاندين لك (بذكرهم) أى بالقرآ ن الكريم لأن فيه شرفهم وذكرهم .. (فهم عن ذكرهم معرضون)•

وقد كانت أمة العرب لا ذكر لها فى التاريخ حتى جاء الاسلام .. فجعل لها ذكرا يدوى فى أنحاء البسيطة طالما كانت متمسكة به ويقل ذكرها ببعدها عنه ..

وبعد بيان صدودهم واعراضهم عن الحق الذى فيه ذكرهم ووجودهم الحسى والمعنوى يعود السياق مره أخرى لمناقشتهم فى بعض الشبه التى صدتهم عن قبول الحق وذلك بقول الحق — سبحانه —

(أم تسأل خرجا) والمعنى أم تسألهم أجرا على هدايتك لهم .. [وخرجا] نكره تفيد التقليل أى أجرا قليلا ..

وهذا الاسلوب استفهامى غرضه النفى والمعنى أنك لم تسألهم أجرا قليلا على هدايتك لهم حتى يحسوا فى ذلك مغرما وبالتالى لا يقبلوا دعوتك التى سببت لهم غرما .. ومع ذلك فالمجازى لك هو الله تعالى بقوله :—

(فخراج) أى فعطاء ربك فى الدنيا بالرزق والذكر وفى الآخرة بالرحمة والمنزلة العالية والمقام المحمود (ربك) •

أى خالقك ومربيك واللطيف بك (خير) أى أفضل وأحسن لأنه الباقى الذى لا يفنى ولا يزول .

(وهو خير الرازقين) . وهذه الجملة خبرية تفيد تقرير خيرية الرزق قبلها .. وماذا يطمع نبى أن ينال من البشر الضعاف الفقراء المحاويج وهو متصل بالفيض اللدنى الذى لا ينضب ولا يغيض . بل ماذا يطمع أتباع نبى أن ينالوا من عرض هذه الأرض وهم معلقوا الانظار والقلوب لما عند الله الذى يرزق بالكثير والقليل ؟! ألا انه يوم يتصل القلب بالله يتضاءل هذا الكون كله ..

ثم يوضح الحق ـ سبحانه ـ حقيقة هذه الرسالة . وأنها الحق الذى يضمن لهم الاستقامه التى لا تحيد. وذلك بقوله :ـ

(وانك) يامحمد (لتدعوهم) أى قومك الذين عاندوك (إلى صراط مستقيم) أى إلى طريق الاسلام المستقيم الواضح .. ثم توضح الآيات قضية عامة كانت موجودة قبل دعوة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى أن إنكار الآخرة سبب كل الشرور والآثام .. وذلك لأنهم لا يخشون عقاباً ولا حساباً ولا جزاء وذلك بقوله سبحانه (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة)

أى لا يقرون ولا يعتقدون بها (**عن الصراط لناكبون**) ويعنى بالصراط الاسلام وشريعته ..

وللصراط معنيان :ـ

الأول : المعنى الخاص وهو الجسر الممدود على ظهر جنهم وتعبر عليه الخلائق يوم القيامه .

الثاني : المعنى العام وهو يشمل الاسلام والطريق المستقيم بكل معانيه وتحدد هذه المعاني حسب السياق والسباق للآيات .

ومعنى ناكبون : أى منحرفون . لأنهم طريق الاسلام المستلزم للعدالة فى النفس والمحبة فى القلب . أما من يحيد عن ذلك فهم منهمكون فى طريق العداوه والظلم ..

" فلو كانوا مهتدين لتابعوا بقلوبهم وعقولهم أطوار النشأة التى تحتم الايمان بالآخرة . وبالعالم الذى يسمح ببلوغ الكمال الممكن . وتحقيق العدل المرسوم فليست الآخرة إلا حلقة من حلقات الناموس الشامل الذى ارتضاه الله لتدبير هذا الوجود .. "(١)

---

(١) أنظر الظلال جـ٤ / صـ٢٤٧٦

ثم تبين الآيات اصرارهم على الكفر رغم ما يصيبهم من المصائب بقوله سبحانه (**ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون**) .

سبب نزول هذه الآية :ـ

" يروى أنه لما أسلم ثمامه من أثال الحنفى ولحق باليمامه . ومنع الميرة عن أهل مكه وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز[1] . جاء أبو سفيان الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فقال : أنشدك الله والرحم . ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ؟ فقال : بلى، فقال : قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا الضر فأنزل الله هذه الآيه "[2]

والمعنى : أننا لو رحمناهم وكشفنا ما نزل بهم من البلاء والجوع والهزال والضر لعادوا إلى كفرهم وطغيانهم يتخبطون . وهذه صفة عامة لذلك الصنف من الناس القاسية قلوبهم . الغافلين عن الله . المكذبين بالآخرة . ومنهم المشركون الذين كانوا يواجهون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ويعنى به الوبر والدم

(٢) أنظر تفسير النيسابورى جـ١٨ /صـ٣٢

وبعد ذلك تستشهد الآيات بالوقائع التى تؤكـــــد مضمون الآيات السابقة بقوله تعالى (**ولقد أخذناهم**) أى أهل مكه بالعذاب يوم بدر (**فما استكانوا لربهــم**) أى ما خضعــوا له (**وما يتضرعــون**) بالدعاء له والرجوع عما هم عليه مـــــن الشرك .

قال ابن جرير فى تفسير هذه الآية :ــ

" أى ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا وأنزلنـــا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم . وأجدنبا بلادهــم . وقتلنا سراتهم بالسيف فما استكانوا لربهم أى فما خضعوا لربهـــم فينقادوا لأمره ونهيه . وينيبوا الى طاعته . وهذه الآيه نزلـــت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين أخذ اللـــه قريشا بسنى الجدب بسبب دعوة الرسول ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ عليهم .[1] .. وذلك بقوله
" اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف "[2] ..

وحول توضيح الاستكانه يقول صاحب الظلال :ــ

" والاستكانه والتضرع عند مس الضر دليل على الرجوع الـــى الله . والشعور بأنه الملجأ والملاذ . والقلب متى اتصل باللـــه

---

(١) أنظر تفسير ابن جرير جـ١٨ /صـ٤٤ الطبعة الثانية
(٢) أنظر البخارى . كتاب الدعوات . باب الدعاء على المشركين جـ٨ / صـ١٠٤

على هذا النحو رق ولان . واستيقظ وتذكر وكانت هذه الحساسية هى الحارس الواقى من الغفلة والزلل . وأفاد من المحنه وانتفع بالبلاء . فأما حين يسدر فى غيه ويعمه فى ضلاله ، فهـــــو ميؤوس منه ولا يرجى له صلاح ، وهو متروك بعذاب الآخـــــرة الذى يفاجئه ، فيسقط فى يده ويبلس ويحتار وييأس مـــــــن الخـــــلاص . "(١)

ثم بين الحق سبحانه حالتهم فى الآخرة وما أعد لهـــم فيها من العقاب الرادع الذى لا مفر لهم بقوله ـ عز وجل ـ :ـ

(**حتى إذا فتحنا**) بما لنا من القوة والعظمـــــــه (**عليهم**) أى على أهل مكه (**باباً ذا عذاب شديد إذا هـــم فيه مبلسون**) أى أنهم حين تفتح عليهم بابا فى جهنم يـــــوم القيامه لا فرار لهم منه فهم يدخلونه يائسين قانطون من رحمـــــه الله وهناك رأى آخر خلاصته :ـ

" أننا لو فتحنا عليهم فى الدنيا بما هو أشد مـــــن القتل والاسر . وهو عقابهم بالجوع والقحط والجدب اذا هـــــم مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاء أعتاهـــــــم يستعطفك . . "(٢)

---

(١) أنظر ظلال القرآن جـ٤ / صـ٢٤٧٦

(٢) أنظر تفسير البيضاوى جـ٢ / صـ١١٢

مظاهر القدرة فى الأنفس والآفـــاق

الآيـــات :ـ

" وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والافئدة قليـــلا ما تشكرون • وهو الذى ذرأكم فى الأرض واليه تحشرون • وهـــو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلـــون • بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أءذا متنا وكنا تراباً وعظامــاً أءنا لمبعوثون • لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين • قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون• سيقولون لله • قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبــــع ورب العرش العظيم • سيقولون لله • قل أفلا تتقون. قل مـــن بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله • قل فأنى تسحرون "

مناسبة الآيات لما قبلها :ـ

لما بينت الآيات السابقة صدود أهل مكه عن قبـــول دعوة الحق • وبنيت أن العناد والكبر والعادات الباليـــــه الموروثه كانت وراء ذلك الكفر • فهم لم يتدبروا الآيات التـــى جاءهم بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا الرســـول

منهم يعرفوه . بصدقه وأمانته . وأنه قد سبق بكثير من الأنبياء والمرسلين .. ولم يسألهم على الدعوه أجراً .. ثم بنيت الآيات حقيقه الدعوه . وبنيت ما أصاب أهل مكه من العقاب الدنيوى وتمسكهم بكفرهم . وعدم رضاهم بدعوه الايمان والاسلام .. تأتى هذه الآيات التى معنا لتقدم بعض الأدلة الشهودية التى تؤكد قضية الايمان وتسند هذه الآيات المعجزة الى الحق ـ سبحانه ـ حتى تبين أنه أهل للعباده"

المباحث اللغوية فى الآيات :ـ

(**أنشأ**) . أى خلق وأوجد

(**أساطير**) . أى أكاذيب وأباطيل الأولين . وهى القصص الخيالية

(**ملكوت**) . أى ملك كل شئ وهى صيغه مبالغه تدل على تمكن الملكية للحق سبحانه

(**يجير ولا يجار عليه**) . أى يحمى غيره ولايحمى من غير .. أو من يبطش ويعاقب . ولا يستطيع أحد أن يعتدى عليه

(**تسحرون**) . أى تخدعون وتصرفون عن الحق

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :ـ

.. هذه الآيات الكريمة تقرر وتؤكد وتبين بعض القضايا التى لا يختلف عليه اثنان ولا يستطيع أحد أن ينكر ما فيها من حقائق .. حيث يقول سبحانه (**وهو**) أى لاغيره من أصنامكم أو معبوداتكم (**الذى أنشأ لكم**) أى خلق وأوجد لكم أنتم . ولمصلحتكم ليس له من وراء ذلك غرض يخصه أو منفعة تعود عليه . وانما ثمرة الخلق والايجاد تخصكم أنتم . وهذا سر ذكر الجار والمجرور قبل المفعول به (**السمع والأبصار والأفئدة**) حتى تدخلوا الحياه مكيفيين بالجوارح والحواس التى لاغنى لكم عنها وتتفاعلوا مع الحياة فى يسر وسهولة لا تجدون فى ذلك نكدا ولا نصبا .

وذكر السمع مفردا : لأن الناس لا يتفاوتون فى ذلك .
وذكر الابصار جمعا : لأن الناس يتفاوتون فى ذلك قوه وضعفا .
وذكر الافئدة جمعا : لأن الناس يتفاوتون ـ أيضا ـ فى قوة التفكير والاختيار بين بدائل الامور .

والافئدة جمع فؤاد . والمراد بها القلوب . ويعنى الحق ـ بها ـ أوعيه العطاء الالهى فى جسم الانسان لأنها

محط التفكير .

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه النبوية الشريفة بأهميتها ومن ذلك ماروى عن سيدنا جابر بن عبد الله من حديث طويل قال :ـ

... "ألا ان فى الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله . واذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب" .

وورد فى حديث آخر عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

" إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . والتقوى هاهنا . ويشير الى قلبه ثلاث مرات .. "

ولما أهمل الانسان الوظيفة الاساسية التى خلق الله هذه الجوارح من أجلها وبذلك يكون قد كفر بنعمة الله فيها .. وكأنهم بذلك لم يقابلوا هذا النعم بالشكر وان قابلوها بالجحود والكفران يقول الحق ـ سبحانه ـ(**قليلاً ما تشكرون**) والخطاب لأهل مكه ومن على شاكلهم من الكفر فى كل زمان ومكان.

والمعنى ـ كما يقول المفسرون ـ يؤل إلى رأيين :ـ

الأول : أن الشاكر قليل وما مزيده للتوكيد وهى دليل على أن الفقر أمثل من الجاحد .

الثانى : أنه أراد بالقلة العدم . والمعنى أنه لاشكر أصلا ، والعمدة فى شكر هذه النعم أن تستعمل فيما خلقت له ـ كما تقدم ـ والاذعان بالعبادة لمن أوجدها وشقها . من غير اشراك أو كفر .

"وفى هذه الآية ثلاثة معان :

الأول : إظهار النعمة .

الثانى : مطالبة العباد بالشكر عليها . فشكر السمع . ألا يسمع الا الله وبالله ومن الله .. وشكر البصر أن ينظر بنظر العبرة لله وبالله . والى الله .. وشكر الفؤاد . تصفيته عن رين الأخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله .

الثالث : الشكاية أن الشاكر قليل .."(١)

يقول صاحب الظلال المرحوم سيد قطب فى بيان النعم الثلاث السابقة : "ولو تدبر الانسان خلقه وهيئته ، وما زود به من الحواس والجوارح . وما وهبه من الطاقات والمدارك لوجد الله ، ولاهتدى اليه بهذه الخوارق الدالة على أنه الخالق الواحد . فما أحد غير الله بقادر على ابداع هذه الخلقة

---

(١) أنظر تفسير النيسابورى حـ ١٨ / صـ ٣٣

المعجزة فى الصغير منها وفى الكبير .. هذا السمع وحده كيف يعمل ..؟ كيف يلتقط الأصوات ويكيفها ..؟ وهذا البصر وحده وكيف يبصر ..؟ وكيف يلتقط الأضواء والأشكال..؟ وهذا الفؤاد ما هو ..؟ وكيف يدرك ..؟ وكيف يقدر الأشياء والمعانى والقيم والمشاعر والمدركات ..؟ .

ان مجرد معرفة طبيعة هذه الحواس والقوى وطريقة عملها . يعد كشفا معجزا فى عالم البشر .. فكيف بخلقها وتركيبها على هذا النحو المتناسق مع طبيعة الكون الذى يعيش فيه الانسان .. ذلك التناسق الملحوظ الذى لو اختلف نسبة فى طبيعة الكون . أو طبيعة الانسان لفقد الاتصال . فما استطاعت اذن أن تلتقط صوتا . ولا استطاعت عين أن تلتقط ضوءا . ولكن القدرة المدبرة نسقت بين طبيعة الانسان وطبيعة الكون الذى يعيش فيه . فتم هذا الاتصال .. غير أن الانسان لا يشكر على النعمة "**قليلاً ما تشكرون**" .. والشكر يبدأ بمعرفة واهب النعمة وتمجيده بصفاته . ثم عبادته وحده . فهو الواحد الذى تشهد بوحدانيته آثاره فى صنعته . ويتبعه استخدام هذه الحواس والطاقات فى تذوق الحياة والمتاع بها . بحس العابد لله فى كل نشاط وكل متاع .. "[1]

---

(١) أنظر ظلال القرآن حـ ٤ / صـ ٢٦ ٤ ".

لكن ماذا قالت الاكتشافات العلمية بأجهزتها الحديثة المتطورة عن حقيقة الابصار والسمع والادراك ٠٠ ؟ ٠

يقول الاستاذ وحيد الدين خان ٠ فى كتابه " الاسلام يتحدى " : " اننا نتحير اذا رأينا النظام المعقد لأسلاك التليفون ٠٠ وندهش عند تصلنا مكالمة من لندن ونحن فى استراليا ويتم ذلك فى ثوان ٠٠ !! فاذا كان تعقيد نظام أسلاك التليفون يوقعنا فى حيرة شديدة ٠ فما بالنا بنظامنا المصبى وهو أوسع وأشد تعقيدا من هذا النظام ٠ ؟؟ ان ملايين الأخبار تجرى على أسلاك نظامنا المصبى ـ الذى أوجدته قدرة الخالق سبحانه ـ من جانب الى آخر ليل نهار ٠ وهذه الأخبار هى التى توجه القلب فى تدفقها ٠ وفى حركتها، وتتحكم فى حركات الأعضاء المختلفة ٠ وتتحكم فى الحركات الرئوية ٠٠ ولو لم يكن هذا النظام فى أجسامنا لصارت الأجسام تلفيقا لأشياء مبعثرة تسلك كل منها مسلكها الخاص ٠٠ ومركز هذا النظام للمواصلات مخ الانسان ٠٠ وهذا المخ يحتوى ألف مليون خلية عصبية ، ومن كل هذه الخلال تخرج شعيرات تنتشر فى سائر الجسم وتسمى بالأنسجة المصبية ٠٠ وفى هذه الأنسجة يجرى نظام استقبال وارسال للأخبار ٠ بسرعة سبعين ميلا فى الساعة ٠٠ وبواسطة هذه الأنسجة تتذوق ٠ ونسمع ، ونرى ٠ ونباشر أعمالنا ٠٠ وتوجد فى الأذن الواحدة عشرة آلاف

خلية سمعية . ومن خلال نظام دقيق جدا يسرى فى هـــذه الخلايا يستطيع الانسان أن يميز بين الذبذبات الصوتيـة عـــن طريق العصب السمع فـى المخ . ويكيف نفسه على ذلك . وفى كل عين مائة وثلاثون مليونا من الخلايا الملتقطة للضوء . وتقـوم بمهمة ارسال المجموعة التصويرية الى المخ وهكذا فى بقيــــة الجـــوارح ...» (١)

ومن نعمة الله علينا أن جعل هذا الأعضاء المهمـة فـى جسم الانسان قسمين بحيث اذا أصيبت واحدة . عملت الأخرى مكانين .. ولذلك نجد للانسان عينين وأذنين .. وهنـــاك فى الأجزاء الداخلية ما يمكن أن يعمل الانسان بنصفـــه أو حتى ثلثه وذلك كالكلى مثـلا ... فسبحان الذى أحسن كـــل شىء خلقه ..

ومن نعمة الله على الانسان . أن هيأه فقط لما يلزمـــه فى حياته على الأرض وكيف جوارحه على ذلك .

فهناك فى الكون ذبذبات صوتية لو سلطت علـــى أذن الانسان لأتلفتها وأصابتها بالصمم ولكن من نعمة الله أن جعل أذن الانسان لاتلتقط فقط الا ما يلزمه فى حياته ولا يضرها ..

---

(١) أنظر " الاسلام يتحدى " . صـ ٥٤ ـ طبعة المختارالاسلامى

وقد أثبت العلم الحديث وجود هذه الذبذبات ٠٠ وكذلك هناك فى الكون كثير من أنواع الأشعة لو تعرضت العين البشرية لواحدة منها لأصابتها بالعمى ولكن من نعم الله أن وقى الكرة الأرضية منها وهيئ للعين البشرية من الأشعة مايناسبها ٠

وبعد أن بين الحق ـ سبحانه ـ نعمة البصر والسمع والفؤاد ٠٠ ينتقل بالمعاندين نقلة أخرى فى دليل شهودي آخر حيث يقول ـ سبحانه ـ :

(**وهو الذى ذرأكم فى الأرض**) بمعنى أنه وحده هو الذى أوجدكم وخلقكم وبثكم فيها بالتناسل ٠ وجعل الذكور والاناث ـ منكم ـ ميلا فطرياً اذا نظم بطريقة شرعية كان منه النسل وبقاء نوعكم من الانقراض ٠٠ فلم يجعل الفعل الجنسى فيكم فيكم كأى عمل يقوم به الجسم ٠٠ ولكن أفرده بعناية خاصة يجد الانسان فى ذلك الراحة واللذة فيقدم ـ بطبيعته وفطرته ـ على ممارسته بالطريقة المشروعة ٠٠ ولما ذكر عملية الايجاد فى الأرض ونعمة تكثير الانسان فيها بين أن بقاء الانسان فى الأرض وتعميره فيها محدود بنهاية ثابتة وبعدها يموت الانسان ويقبر ثم بعد ذلك يحشر الى ربه للحساب والجزاء ولذلك قال سبحانه :

(**واليه تحشرون**) ٠ وبنى الفعل للمجهول لأن الفاعل

معروف وهو الله سبحانه ولأن المهم اقرار قضية الحشر . لأنهم كانوا ينكرونهـــا .

وتؤكد الآيات الكريمة قضية أخرى . شهودية ومحسوسة . ولكن الانسان بكثرة الألف نسيها . ولم يعد يعتبر بهـــا . ولذلك قال ـ سبحانه ـ (**وهو**) أى وحده (**الذى يحـــى ويميت**) وبذلك تكون الحياة فى الدنيا نعمة من الله تعالى . والاماتة للراحة الأبدية فى الجنة نعمة أخرى .. والحيـــاة والموت حادثان يقعان فى كل لحظة .. ولا يملك الحيـــاة أو الموت الا الحق ـ سبحانه ـ فالبشر ـ وهم أرقى مخلوقاتـــه على الأرض ـ أعجز من بث الحياة فى خلية واحدة .. ولعجز كذلك من سلب الحياة سلبا حقيقيا عن حىّ من الأحيـــاء فالذى يهب الحياة هو الذى يعرف سرها . ويملك ـ وحده ـ أن يمنحها أو يسلبها . أما البشر ـ فى ذلك ـ فهـــم أسباب وأداة لازهاق الحياة فقط ..

ورحم الله الحسن البصرى حيث يقول : " ما رأيت حقـــا أشبه بباطل من الموت " وكأنه ـ رحمه الله ـ رأى انصـــراف الناس عن التذكر بهذا المصير المحتوم فانصرفوا عن الاستعـداد لذلك .. فكأن الموت فى عرفهم كالباطل .. وبعـــد ذلـــك تعطف الآيات مظهرا آخرا من مظاهر قدرة الحق ـ سبحانه ـ

قسى الكون بقولـه :

(**وله اختلاف الليل والنهار**) . أى مختص بايجادهما وتصريفهما . وهى سنة كونية كسنة الحياة والموت .. هـذه فى النفوس والأجساد .. وهذه فى الكون والأفلاك . القـادر عليهما هو وحده (**أفلا تعقلون**) . اى هلا تعقلون حقيقـة ذلك . وتتوصلون بذلك الى عبادة خلقهما حق عبادتـه ..

وبعد ذلك تلتفت الآيات من الخطاب للمعانديـن والمجادلـين الى حكاية بعض مقولاتهم عن البعث والحساب . فيقـول ـ سبحانـه ـ :

(**بل قالوا**) أى المعاندين من أهل مكة ومن علـى شاكلتهم . (**مثل ما قال الأولون**) من الكافرين .. وكأنهـم بذلك ـ زعم هذه الآيات المحسوسة ـ يتعلقون بحبل التقليد البالـى .

(ومـا) فى قوله " مثل ما قال الأولون " لها معنيان:

الأول : أنها موصولة فى محل جر بالاضافة . وقال صلة الموصول . ويكون المعنى " بل قالوا مثل الذى قاله الأولون " .

الثانى : أنها مصدرية . وتؤول مع الفعل بعدها بمصـدر .

ويكون المصدر فى محل جر بالاضافة . ويكون المعنى " بل قالوا مثل قول الأولين " .

وتأتى الآيات بعد ذلك لتوضيح الذى قالوه . أو قولهم الذى تبعوا فيه آباءهم وأجدادهم الأولين حيث يقول ـ سبحانه :

(**قالوا : ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما**) أى ائذا انتهت آجالنا فى الدنيا ودفنا فى الأرض وتحول اللحم منا الى تراب وتحول الجسم الى تراب وعظام بالية (**أئنا لمبعوثون**) . والاسلوب الانشائى استفهامى غرضه الاستبعاد والنفى ولم يتأملوا أنهم كانوا قبل ذلك ترابا فتعلقت به قدرة الخالق ـ سبحانه ـ فجعلت منه انسانا سويا ..

ولم يكتفوا بذلك بل سخروا مما يوعدون به من البعث والجزاء . لأن هذا الوعد قيل لآبائهم من قبل على ألسنة الرسل . ولم يقع منه ـ حتى وقتهم ـ شيئ (**لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل . ان هذا**) أى الوعد بالبعث والآخرة والجزاء والحساب (**الا أساطير الأولين**) أى ما ذلك الا أكاذيب الأولين التى كتبوها ونقلت عنهم . ومفردها أسطورة .. ونسى هؤلاء أن البعث متروك لموعد قد ضربه الله له . وفق تدبيره وحكمته . لا يستقدم ولا يستأخر تلبية لرغبة جيل من أجيال الناس ، أو استهزاء من الغافلين المحجوبين ..

ولما كان العقلاء من أهل مكة يعترفون بوجود الله تعالى . ولا ينكرون فى ملكيته للكون وتصرفه المطلق فيه .. ومنعهم من الايمان به وعبادة أشياء أخرى منها العصبية للقديم وان بان خطؤه .. ويعبدون الأصنام ويظنون أنها تقربهم الى الله زلفى .. وفى ذلك يقول الحق فيهم :

" والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .. "(1) ، تأتى الآيات التالية لتصحح لهم هذا الاضطراب العقائدى . وتردهم إلى التوحيد الخالص ، والعبادة السليمة ، والدين الحق الذى يقودهم الى ما يسلمون به لو أنهم استقاموا على فطرهم السليمة .. ولذلك يقول الحق ـ سبحانه ـ :

(قل) يا أحب الخلق الينا موجها هذا السؤال لأهل مكة . (**لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون**) .والمعنى لمن الأرض خلقا وايجادا وملكا ومن فيها مما عرفتموه أو جهلتموه إن كنتم من أهل العلم . أو من العالمين بذلك وفى ذلك استهانة بهم .. وتقريرا لفرط جهلهم .

ولما كان فى السؤال الزام لهم بما لا يمكن انكاره .

---

(١) سورة الزمر آية ٣

كان جوابهم دالا على فرط جهالتهم ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا (سيقولون) أى أهل مكة (لله) أى الملك لله فحذف المبتدأ فى الجواب للعلم به من السؤال .. وفى حذف الخبر نكتة بلاغية وهى السرعة فى اثبات الملكية لله تعالى .

(قل) يا محمد (أفلا تذكرون) وتصلون بتذكركم هذا الى أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادها ثانيا .. وذلك لأن بدء الخلق ليس أهون من اعادته . والعكس ـ فى عرف البشر ـ صحيح . أما بالنسبة لله تعالى فأفعل التفضيل ليس على بابه . وانما أمره بين الكاف والنون . اذ أراد شيئا يقول له : كن فيكون ..

يقول النيسابورى .. " وفى قوله (أفلا تذكرون) ترغيب فى التدبّر وبعث على التأمل فى أمر التوحيد والبعث . فان القادر على اختراع الأرض ومن فيها كان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه . وكان قادرا على اعادة ما أفناه .. "[1] .

ثم يوجه الحق ـ سبحانه ـ على لسان نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله :

---

(١) أنظر تفسير النيسابورى جـ ١٨ / صـ ٣٣

(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ٠٠) ٠

أى من خالق وموجد السموات السبع ٠٠ ؟ والعلم الحديث للآن لم يتوصل الى حقيقة السموات السبع ٠ فهل هى ـ حسب آخر الاختراعات العلمية ـ سبعة أفلاك ٠ أو مجموعات نجمية سبعة ٠ أو سدما سبعة ٠ أو عوالم سبعة ٠ أو مجرات سبعة ٠٠؟؟!

ثم رمز لاستعلاء العظمة الالهية بقوله : " ورب العرش العظيم " ووصف العرش بالعظمة يدل على اتساعه ٠ وكأن العرش بذلك ـ كما يقول ابن كثير ـ هو سقف المخلوقات والدليل ما روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " شأن الله أعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا " وأشار بيده مثل القبة "(١) .

ويوضح عظمة العرش فى حديث آخر ٠ فيقول : "والسموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ٠ وان الكرسى بما فيه بالنسبة الى العرش كتلك الحلقة فى تلك الفلاة "(٢)

ثم علم الحق الجواب عنهم قبل أن ينطقوا به ٠٠ فقال ـ عز من قائل :

---

(١) أنظر سنن أبى داود ـ كتاب السنة ـ باب الجهمية ٠
(٢) أنظر ابن كثير حـ ٥ / صـ ٤٨٢ ٠ طبعة الشعب ٠

(**سيقولون**) أى أهل مكة (**لله**) أى الربوبية والخلق والايجاد لله سبحانه وهم مع هذا الاقرار لا يخافون صاحب العرش . ولا يتقون رب السموات السبع . ويشركون معه أصناما تصنع بأيديهم لا تملك لهم فضلا عن نفسها نفعا ولا ضرا ..

فكان الأولى بحالهم والأنسب للرد عليهم أن يقال لهم (**قل : أفلا تتقون**) أى تخافون عقابه فلا تشركون به شيئا . ولا تنكرون قدرته على بعض مقدراته ،ثم يقدم الحق ـ تبارك وتعالى ـ سؤالا عن صاحب السيطرة والقوة والجبروت والسلطان فيقول : (**قل : من بيده ملكوت كل شيء**) أى قل لهم يامحمد من بقدرته ملك كل شيء ملكا تاما لا ينازع فيه . وعبر عن الملك بصيغة المبالغة [فلموت] ليدل على شدة تملكه وقوة سيطرته . وكل شيء . يدل على إحاطة ملكه للأشياء صغيرها وكبيرها بعيدها وقريبها .. (**وهو**) أى وحده (**يجير**) أى يغيث وينقذ ويحمى ويحرس (**ولا يجار عليه**) أى لا يحتاج الى معين ولا مغيث (**ان كنتم تعلمون**) خلاف ذلك فأخبرونى ..

وأخبرت الآيات عن جوابهم بقوله : (**سيقولون : لله . قل فأنى تسحرون**) أى اذا كنتم تعلمون ذلك وتنسبونه الى الله تعالى فكيف تخدعون عن توحيده سبحانه وطاعته مع ظهور الأمور ووضوح الأدلة ..

وكأنكم بتخبطكم عن الحق . وانصرافكم عنه تفعلون فعل المسحور الذى يتخيل الأمور على غير حقيقتها ...

....

سبحان الله عما يصفون

الآيات :

"بل آتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون . قل رب إما تريني ما يوعدون . رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين . وإنّا على أن نريك ما نعدهم لقادرون . ادفع بالتى هى أحسن السيئة . نحن أعلم بما يصفون . وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون .. "

مناسبة الآيات لما قبلها :

بعد أن بينت الآيات السابقة ما عليه أهل مكة من الباطل والضلال . وما ظهر عليهم من التخبط الواضح نتيجة الأسئلة التى ألقيت على مسامعهم . وكانت اجابتهم ـ التى لا مفر لهم منها ـ تدل على باطل ما هم فيه وفساد ما هم يدينون به .. جاءت هذه الآيات التى معنا الآن لتوضيح وبأسلوب صريح أحقية ما أرسل به محمد اليهم . وكذبهم فى كل مفترياتهم على

الرسالة والرسول ، بل والخالق سبحانه وتعالى .

المباحث اللغوية فى الآيات الكريمة :

(**سبحان الله**) : أى تنزهت وتقدست ذاته .

(**أعوذ بك**) : أى لعتصم وامتنع بك .

(**همزات الشياطين**) : أى نزعاتهم ووساوسهم المغرية .

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :

تضرب الآيات الكريمة عن باطل أهل مكة وتعلن عن الحق الواضح بقوله سبحانه : (**بل آتيناهم**) أى أهل مكة (**بالحق**) أى الدين على لسان رسولنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا الدين لا ينكره الا معاند ومكابر .. ولما كان حال أهل مكة الانكار لهذا الدين الحق الواضح حكم المولى تبارك وتعالى عليهم بقوله : (**وانهم**) أى أهل مكة (**لكاذبون**) .. وجاءت الجملة مؤكدة بما يأتى :

١ ـ اسمية الجملة .

٢ ـ دخول ان على الجملة الاسمية .

٣ ـ دخول اللام على خبر ان .

وذلك لإنكار أهل مكة ذلك واعتقادهم أنهم على صـــواب فناسب ذلك أن يأتى الكلام لهـم مؤكدا ..

ولما بينت الآية أنهم كاذبون .. كانت الآية التالية لهـا تبين فى أى شئ كان كذبهم وذلك حيث يقول جل شأنه :

(ما اتخذ الله من ولد) . أى ما اجتهد فى اتخـــاذ ولد له وذلك لتقدسه عن مماثلة أحد .. فهو لم يلد ولـــم يولد .. **(وما كان معه من اله)** يشاركه فى الالوهية .. فهـو الواحد الأحد .. ولم يكن له كفواً أحد .. فهو الواحد فـى ذاته وصفاته وأفعالـــه ..

وفى ذلك رد على القائلين بأن الملائكة بنات اللـــــه . وابطال لأقوال اليهود والنصارى ..

ولما أثبت نفى الشريك له دعمه بالدليل المنطقى الذى لا ينكره العقل السليم وذلك بقوله ـ فى جواب شرط محـــذوف دل عليه سياق الكلام ـ **(اذا لذهب كل اله بما خلـــق)** .. وبذلك يكون التقدير ـ كما قال النيسابورى : " ولو كان معـــه آلهة لذهب كل اله بما خلق ، لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذى خلقه وأوجده واستبد به .. لأن اجتماعهم على خلـــق واحد لا يتصور فان ذلك يقتضى عجز الواحد عن ذلك بالخلق ـ

وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين ..»[1]

(ولعلا بعضهم على بعض) أى ولظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو الحال فى ملوك الدنيا .

وتكون نتيجة ذلك أن الله لم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ ولما كان اللازم لهذا الدليل باطل بطلانا ظاهرا وواضحا بما يأتى :

١ - بالاجماع .
٢ - والاستقراء .
٣ - وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجوب سبحانه، ناسب أن يقول الحق - سبحانه -.

(سبحان) أى تقدس وتنزه وتعاظم **(الله عما يصفون)** .. " وما " فى قوله " عما " يحتمل أن تكون :

١ - اسم موصول حرفى فى محل جر والتقدير : عن الذى يصفونه به والعائد محذوف ويصفون . صلة الموصول .
٢ - حرف مصدرى يؤول مع الفعل بعده بمصدر والتقدير : عن وصفهم . الذى لايليق بذاته ..

---

(١) أنظر تفسير النيسابورى حـ ١٨ / صـ ٣٧

ولما نزهت الآية السابقة الحق ـ سبحانه ـ عن كل ما يليق بذاته .. جاءت الآية التالية لتصفه بما هو أهل له وذلك بقوله :

(**عالم الغيب والشهادة**) . وهذه الآية دليل آخر على نفى الشريك والولد "وعالم" له اعرابان :

الأول : الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف . والتقدير : هو عالم الغيب ..

الثانى : الجر على أنه صفة للمجرور قبله . واختار ذلك ابن كثير ..

ولما وصف الحق ـ سبحانه ـ بذلك كان خير ختام للآية قوله (**فتعالى**) تسامى وتقدس وتعاظم (**عما يشركون**) من الأصنام وغيرها .. وما قيل فى "ما" فى قوله "عما يصفون" يقال فى "ما" فى قوله "عما يشركون"

ولما أبطل دعاويهم الباطلة ونزه ذاته عن كل نقيصة من شركه أو غيرها وجه الخطاب إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يتصف بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات وذلك بتوجهه الى ربه مستعيذا به أن يجعله مع هؤلاء القوم ـ ان كان قد قدر له أى يرى تحقيق ما وعدهم به من العذاب .. وأن يستعيذ

به كذلك من الشيطان . فلا يثور نفسه ولا يضيق صدره بمـــا يقولون .. وذلك بقوله ـ سبحانـــه ـ :

(**قل**) يامحمد . يا أحب خلقنا الينا . (**إمّا تريني**) .
والمعنى : ان كان ولا بد من أن تريني .. لأن ما . والنون للتوكيد (**ما يوعدون**) ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخـــــرة .. و " ما " تحتمل أن تكون موصولة . أو مصدرية..
(**رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين**) . أى قرينا لهم فـــى العذاب أو قريبا لهم فيه ..

يقول الامام البيضاوى :

" وذلك لأن شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقولـــه تعالى : "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصــة " .. عن الحسن أنه قال : أخبر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن له فى أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء.. وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضـــــل تضــــرع .. " (١)

ويقول النسفى ـ رحمه الله ـ :

ويجوز أن يسأل النبي المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) أنظر تفسير البيضاوى حـ ٢ / صـ ١١٤

ربــه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعلــه . إظهاراً للعبودية . وتواضعا لربه . واستغفاره عليه الصـــــلاة والسلام اذ قام من مجلسه سبعين مرة لذلك .. والفاء فـــــى " فلا " فجواب الشرط . ورب اعتراض بينهما للتوكيد "[1]

ولصاحب الظلال رأى ـ فى ذلك ـ يقول فيه :

" ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى منجاة مــــن أن يجعله الله مع القوم الظالمين حين يحل بهم العـــــــذاب الأليم . ويتحقق كما يوعدون . ولكن هذا الدعاء زيادة فـــــى التوقى . وتعليم لمن بعده الا يأمنوا مكر الله . وأن يظلـــوا أبدا أيقاظا . وأن يلوذوا دائما بحماه "[2].

ولما أمره أن يدعوه بالنجاة من هلاك الظالمين اذا قدر له أن يعاصره بين الحق ـ سبحانه ـ قدرته على تنفيذ وعـده بقولـــــه :

(**وانا**) أى بمالنا من القدرة ونافذ الحكمة (**علــى أن نريك ما نعدهم لقادرون**) ..

---

(١) تفسير النسفى حـ ٣ / صـ ١٣٠

(٢) ظلال القرآن حـ ٤ / صـ ٢٤٧٩

وأكد الجملة بأكثر من مؤكد لمناسبة حال أهل مكة من الانكار والتكذيب.. وزيادة فى الرعب لهم أيضا . " لكنا نؤخرة علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون .. أو لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم .. ولعله رد لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به .. وقيل قد رأوه وهو قتل بدر .. أو فتح مكة..(١)

ثم وجه الحق ـ سبحانه ـ توجيها آخر لنبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ادفع بالتى) أى الخصلة التى (هى أحسن السيئة) .. وذلك أبلغ من أن يقال : ادفع بالحسنة السيئة . لما فيه من التفصيل . (نحن أعلم) . أى أحاط علمنا (بما يصفون) من الشرك . أو بوصفهم لك بالجنون والسحر وسوء ذكرهم فنجازهم عليها ..

(وقل : رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أى ألجأ اليك وأتحصن بذاتك من وسوسة الشياطين . لأنهم يصرفون الناس على المعاصى بأنواع الوساوس . وقد ثبت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول : " أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ومن همزه . ونفخه ونفثه .. "(٢)

---

(١) أنظر البيضاوى جـ ٢ / صـ ١١٤

(٢) أنظر سنن أبى داود كتاب الصلاة . ومسند الامام احمد جـ ١ / صـ ٤٠٣ .

ولكن لماذا يأمر الله نبيه بالاستعاذه من الشيطان معــه أنــه معصوم من الخطأ ؟. . .

يجيب عن ذلك صاحب الظلال بقوله :

" واستعاذة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من همزات الشياطين ودفعاتهم وهو معصوم منها . زيادة كذلك في التوقي. وزيادة في الالتجاء الى الله وتعليم لأمته وهو قدوتها وأسوتها . وأن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين في كل حين . بــل ان الرسول ليوجه الى الاستعاذة بالله من مجرد قرب الشياطين لا من همزاتهم ودفعاتهم . وذلك بقولــه :

(**وأعوذ بك رب أن يحضرون**) . ويحتمل أن تكـــون الاستعاذة من حضورهم اياه ساعة الوفاة . . "[1] .

وقد روى الامام أحمد في مسنده :

عن عمرو بن شعيب . عن أبيه . عن جده قال : " إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتكى اليه رجل أرقاً عنـــد النوم فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اذا أردت النوم فقل : أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عبــاده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)[2] .

---

(١) انظر الظلال صـ ٢٤٧٩

(٢) انظر مسند الامام احمد بن حنبل حـ ٢ / صـ ١٨١

من الموت الى محكمة الحق

الآيـــات :

" حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون • لعلى أعمل صالحاً فيما تركت • كلّا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون • فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون • فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون • تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون • ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون • قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين • ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون • قال اخسئوا فيها ولا تكلمون • إنه كان فريق من عبادى يقولون • ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين • فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون • انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون • قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين • قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسأل العادين • قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون • أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون •

فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم • ومن

يدع مع الله اله آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه انــه لا يفلح الكافرون . وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين .. "

مناسبة الآيات الكريمة لما قبلها :

بعد أن بينت الآيات السابقة ما عليه القوم من اللــــدد والعناد والكذب . ونزهت الحق ـ سبحانه ـ عن كل مالا يليق بذاته من الشريك والولد . ووصفته بما هو أهل له . وحــثت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الدعاء لله حتى ينجيــه من العذاب حين ينزل بالقوم الظالمين .. وأن يستعيذ بــه من الشياطين ومن همزاتهم وحضورهم ...

جاء ت الآيات التى معنا لتقرر المصير الحق الذى ينتظر الخلائق جميعا .. وهو الموت وان ذكر فى ختام السورة مقصود به نهاية المشركين ـ حسب السياق والسباق ـ فيبرزها فــى مشهد من مشاهد القيامة .. يبدأ بمشهد الاحتضار فى الدنيا، وينتهى فى الآخرة بعد النفخ فى الصور .. ثم تنتهى الآيات بتقرير الألوهية الواحدة وتحذير من يدعون مع الله الها آخر .. وبتوجيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى ربــه ليطلــب غفرانه ورحمته . ولأنه ـ وحده ـ خير الراحمين ...

المباحث اللغوية فى الآيات الكريمة :

(من ورائهم) • أى أمامهم
(برزخ) • أى حاجز دون الرجعة للدنيا
(تلفح) • أى تحرق
(كالحون) • أى عابسون أو متقلصوا الشفاه عن الأسنان من أثر اللفح •
(غلبت علينا) • أى استولت علينا وملكتنا •
(شقوتنا) • أى شقاوتنا • أو لذاتنا وشهواتنا
(اخسئوا فيها) • أى انزجروا وابعدوا كالكلاب
(سخريا) • أى مهزوءا بهم
(فتعالى) • أى ارتفع بعظمته وتنزه عن العبث •

التفسير التحليلى للآيات الكريمة :

•• إنها الناهية المحتومة التى لايفر منها مخلوق من أهل السموات أو الأرض ولكن الآيات التى معنا ـ وهى بصدد الكلام عن المشركين ـ تصور حال الواحد منهم عند الموت وسؤاله الرجعة الى الدنيا ليصلح ماكان قد أفسده فى مدة حياته • ويصلح فيما ترك وراءه من أهل ومال ••

وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ :

(حتى) وهى غائية .أى استمر بهم العمر فى الدنيـــا حتى انتهى بهم الى الموت (اذا جاء أحدهم الموت) .. واذا شرطية فعلها جاء .. وجواب الشرط (قال) أى المشـــرك والكافر (رب ارجعون) . وجاء الفعل بالواو لعدة وجوه يمكن اجمالهـــا .

الأول : أن الجمع راجع إلى الفعل . كأنه أراد الرجوع عدة مرات .

الثانى : أن الخطاب للملائكة ولفظ الرب للقسم .

الثالث : وهو الأقرب أن الجمع للتعظيم للحق تبارك وتعالى .

ولما بينت الآية طلب رجوعه الى الدنيا .. جاءت الآيـة التالية لتبين سبب ذلك الطلب بقوله ـ (لعلى أعمل صالحـا فيما تركت) . أى الايمان الذى تركته . وقيل فى المال أو فى الدنيـــا .

وعن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " اذا عاين المؤمن الملائكة . (أى ملائكة الموت) قالوا : نرجعك الـــى الدنيا . فيقول إلى دار الهموم والأحزان ..؟ بل قدوما الى الله .. أما الكافر فيقول رب ارجعون فعلى أعمل صالحا فيمـا

تركـــــت " ٠

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ : " انه مشهـــــــد الاحتضار ٠ واعلان التوبة عند مواجهة الموت ٠ وطلب الرجعـــة الى الحياة ٠ لتدارك ما فات ٠ والاصلاح فيما ترك وراءه مـــن أهل ومال ٠٠ وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار مشهـــود للعيـــــان !! "

ولما بينت الآية السابقة طلب الكفار بالرجوع الى الدنيا ٠٠ جاء قوله ـ سبحانه ـ (**كلا ٠ إنها كلمة هو قائلهـــــا** ٠) بالرفض لهذا الطلب ٠ [وكلمة] نكره للتحقير والمراد به قول الكافر " رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت " ٠٠ والكلمة هـى الكلام المنتظم بعضه مع بعـــض ٠

يقال : القى الرئيس كلمة فى المؤتمر ٠٠ ويقول ابن مالك " وكلمة بها كلام قد يؤم " ٠٠

وبهذه الكلمة التى يقولها الكافر ينتهى مشهد احتضاره ٠ واذا الحواجز قائمة بين القائل والدنيا جميعا ٠ فلقد قضـــى الأمر وانقطعت الصلات ٠٠ وأغلقت الأبواب واسدلت الأســـــتار وبهذا كله يشير قوله سبحانه وتعالى : (**ومن ورائهم برزخ الـى يوم يبعثون**) يوم القيامـــة ٠ والبرزخ هو الحائل بينهم وبـــين

الرجعة إلى الدنيا مرة أخرى .. وفى ذلك اقناط كلى عن الرجوع إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا . وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة .

ولما بينت الآية السابقة استمرار البرزخ والحجز الى يوم البعث . وجاءت الآية التالية لتصور هذا اليوم وتعرضه للأنظار بقوله ـ سبحانه ـ (**فإذا نفخ**) والمراد بها النفخة الثانية التى يجمع الناس بها لساعة الحشر والعرض والحساب (**فلا أنساب بينهم يومئذ**) وليس المراد نفى النسب حقيقة لأنه ثابت . وانما المراد نفى الآثار المترتبة عليه من التعاطف والتراحم والتواصل قال تعالى فى آيات أخرى تؤكد ذلك .

" ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم "(١) أى لا يسأل القريب قريبه ولو كان عليه من الأوزار ما قد اثقل ظهره .. وقال أيضا : " يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه .. "(٢)

وفى ذلك ما أورده ابن كثير . عن عبدالله بن مسعود قال " اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين . ثم

---

(١) سورة المعارج آية ١٠ ، ١١
(٢) سورة عبس الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقـــــه ..
قال : فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولـــده أو زوجته وان كان صغيرا . مصداقا لقوله تعالى : " فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون " رواه ابن أبى حاتم[1]

وأورد الامام أحمد بن حنبل فى مسنده . أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " فاطمة بضعة منى . يقبضنى مايقبضها، ويبسطنى ما يبسطها . وان الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبى وسببى وصهرى . "[2]

ولما تقطعت الروابط فى الآخرة . وعم الصمت والهـــول الشديد المفزع عبر عن ذلك السكون الرهيب بقوله (**ولا يتساءلون**) .

وفى هذه الآية نفى الحق — سبحانه — التساؤل بقوله : " ولا يتساءلون " .. وفى آية أخرى أثبت التساؤل بقولـــــه : " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون "[3] . فما وجه الجمــــع بينهمـــا ..؟؟

يجيب عن ذلك الامام النيسابورى بقوله :

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير حـ ٥ / صـ ٤٨٩ طبعة الشعب .
(٢) أنظر مسند الامام احمد بن حنبل حـ ٤ صـ ٣٢٣
(٣) سورة الصافات آية ٢٧

وأما وجه الجمع بينهما فظاهر ٠ لأن هذا فى صفـــة أهل الموقف ٠٠ وذاك فى صفة أهل الجنة ٠٠

ولو سلم أن كليهما فى وصف أهل الموقف فلن نسلـــم اتحاد المواطن والأزمنة وغيرها من الاعتبارات ٠ بمعنى أن هناك وقت أو مكان يستاءلون فيــه ٠ وفى أخرى لا يمكن التساؤل فيها (١) " ٠

وقد ثبت عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس : حين يرمـــى إلى كل انسان كتابه ٠ وعند الموازين ٠٠ وعلى جسر جهنم " ٠ فيمكن أن تكون هذه هى المواقف التى لا يمكن التساؤل عندها وغيرها من مواطن الشدة ٠٠

٠٠ وفى استعراض الآيات للمواقف يوم القيامة ٠ يبيـــن الحق ميزان الحساب وعملية الوزن فى سرعة ودقة تامة بقولـــه ـ سبحانه ـ (**فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**) ٠ وكيفية الميزان من الأمور السمعية التى لانعرفها بالهيئة التى تكـــون عليه والكيفية التى تقع بها ٠٠ ولذلك نقتصر فى تصويرها علـــى ما ورد فى الكتـــاب والســـنة ٠ ومن ذلك ماأورده ابـــن كثـــير ٠

---

(١) أنظر تفسير النيسابورى حـ ١٨ / صـ ٣٩ ٠

عن أنس بن مالك يرفعه الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ان لله ملكا موكلا بالميزان . فيؤتى بابن آدم . فيوقف بين كفتى الميزان .. فان ثقل ميزانه . نادى ملك بصوت يسمع الخلائق . سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا . وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .. "[1] وفى اسناده ضعف " ولما تكلم على المفلحين الذين ثقلت موازينهم .. تكلم على الخاسرين بقوله : (**ومن خفت موازينه**) أى موازين أعماله بسبب كفرهم وعصيانهم فى الدنيا (**فأولئك الذين خسروا أنفسهم**) حيث غبنوهالأنهم ضيعوا الدنيا وهى زمان استكمالها . وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها ...

قال ابن عباس : خسروها بأن صارت منازلهم للمؤمنين . ثم بينت الآيات أهم وأشد وظاهر الخسار بقوله : (**فى جهنم خالدون**) أى استقر بهم المطاف فى الدار التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة .. وانقطع أملهم بالخروج منها لأنهم خالدون فيها أبدا ..

ولهذه الجملة أكثر من وجه للإعراب يمكن إجمالها كالآتى :

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير حـ ٥ / صـ ٤٩٠

الأول : أنها بدل من قوله " خسروا أنفسهم " ولا محل له من الاعراب كالمبدل منه لأنه صلة الموصول . وهى لا محل لها من الاعراب .

الثانى : أنها خبر بعد خبر لأولئك .

الثالث : أنها خبر لمبتدأ محذوف . تقديره " هم فى جهنم خالدون " .

. ولما بينت الآيات دخولهم جهنم . وخلودهم فيها جاءت الآية التالية لتبين نوعية العذاب بالنار فقال :

(**تلفح**) أى تحرق . كالنفخ إلا أنه أشد تأثير . (**وجوههم**) التى امتنعوا عن السجود بها لله تعالى . وسجدوا بها لغيره (**النار**) التى أعدها الله لتأكل وجوههم وجلودهم " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب . "[1]

(**وهم فيها كالحون**) أى متغيرون بسبب شدة الاحراق . حتى تشوهت هيئتها وتغير لونها .

وبعد أن بيّن الحق ـ سبحانه ـ هذا العذاب الحسّى لهم بصورته الشديدة الرهيبة والتى صورتها الآيات السابقة .

---

(١) سورة النساء آية ٥٦

تلتفت ـ بهم ـ الى أسلوب الخطاب ليضيف لهم لونا آخر من العقاب وهو اللوم والتقريع والتوبيخ . بقوله ـ سبحانه ـ : (**ألم تكن آياتي**) أي القرآن (**تتلى عليكم**) وبنى الفعل للمجهول . لأن المفروض أن يستجاب للآيات من أي تال كان . الرسول أو أحد أتباعه (**فكنتم بها تكذبون**). وفي ذلك تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله .

وكأنما يخيل إليهم ـ وقد سمعوا هذا السؤال ـ أنهم مأذونون في الكلام مسموح لهم بالرجاء . وأن الاعتراف بالذنب قد يجدي قلا قبول الرجاء ولذلك عبر عنهم بقوله : ـ

(**قالوا**) أي الكفار (**ربنا غلبت علينا شقوتنا**) أي تغلبت علينا نوازع الشر والشقاء حتى ارتكبنا ما يدخلنا جهنم (**وكنا**) في الدنيا (**قوما ضالين**) عن الطريق المستقيم ..

ولا شك أنهم ـ لفرط جهلهم ـ ظنوا أن السؤال في حاجة الى جواب فقالوا ذلك . وفاتهم أن يعرفوا أن هذا السؤال ليس في حاجة الى جواب لأنه سؤال للتبكيت والتوبيخ والتقريع ...

ولذلك لما قالوا ـ في ذلة واستكانة ـ (**ربنا أخرجنا منها . فإن عدنا فإنا ظالمون**) أي دعوا ربهم أن يخرجهم

من عذاب جهنم فان عادوا الى التكذيب فانهم ظالمون يستحقون العقاب .. فقطع الحق ـ سبحانه ـ أملهم فى النجاة أو الخروج من النار بقوله (**قال : اخسأوا فيها ولا تكلمون**) . أى اسكتوا سكوت هوان وذلة لأن المقام ليس للسؤال ..

أورد الامام البيضاوى فى تفسيره ما يحسن ايراده هنا بنصه :

"قيل إن أهل النار يقولون ألف سنة ـ ربنا أبصرنا وسمعنا ـ فيجابون ـ حق القول منى ـ فيقول ألفا ـ ربنا أمتنا اثنتين ـ فيجابون ـ ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ـ فيقول ألفا ـ يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون ـ انكم ماكثون ـ فيقولون ألفا ـ ربنا أخرنا الى أجل قريب ـ فيجابون ـ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ـ فيقولون ألفا ـ أو لم نعمركم ـ فيقولون ألفا ـ رب ارجعون ـ فيجابون ـ اخسأوا فيها .. ولهم فيها زفير وشهيق .." (١) ونسب النيسابورى ذلك الى ابن عباس (٢) ...

ثم عدد الحق ـ سبحانه ـ قبائحهم فى الدنيا باعتدائهم

---

(١) انظر تفسير البيضاوى جـ ٢ / صـ ١١٥
(٢) انظر تفسير النيسابورى جـ ١٨ / صـ ٤٠ ـ ٤١

على عباد الله المؤمنين بقولـه : (**إنه كان**) فى الدنيـــــا (**فريق**) مؤمن (**من عبادى**) الذين تحملوا المشاق فى سبيل دينهم وعقائدهم والتمسك بها .. (**يقولـون**) آناء الليــــل وأطراف النهار . (**ربنا آمنا . فاغفر لنا**) ذنوبنا بأن تمحوهـا عينا وأشرا فلا نُعاقب ولا نُعاتب .. وزيادة فى طلب العطاء قالـوا أيضـا :

(**وارحمنا وأنت خير الراحمين**) . قيل ان هؤلاء هـم المؤمنون .. وقيل الصحابة .. وقيل أهل الصفة .. ثم ذكرت الآيات موقفهم من المؤمنين فى الدنيا . بقوله : ـ

(**فاتخذتموهم سخريا**) من الهزء . وقيل من السخـرة والانقياد والعبودية (**حتى أنسوكم**) بسبب تشاغلكم بهم علـى تلك الصفة (**ذكرى**) أى تذكرى فلم تخافونى فى أوليائـى .. (**وكنتم منهم تضحكون**) استهزاء واستخفافا بهم من صنيعهـم وعبادتهـم ..

وقد ورد ذلك فى آية أخرى حيث يقول ـ جل شأنه ـ :
ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغامزون .(١)

---

(١) سورة المطففين آية ٢٩ ، ٣٠

يقول صاحب ظلال القرآن ـ فى ذلك ـ :

وكذلك لم يكن جرمكم أنكم كفرتم فحسب ، واقتصرتم على أنفسكم بالكفر وهو جرم عظيم .. وانما بلغ بكم السفه والتوقح أن تسخروا ممن آمنوا . وراحوا يرجون غفران ربهم ورحمته ، وأن تضحكوا منهم حتى ليشملكم هذا الهذر عن ذكر الله . ويباعد بينكم وبين التدبر والتفكر فى دلائل الايمان المبثوثة فى صفحات الوجود .. "(1)

ولما بينت الآيات ما كان الكفار يفعلونه بالمؤمنين فى الدنيا .. ذكر من حال المؤمنين ما أوجب الحسرة والندامة للخاسرين .. وكأنه يقول لهم : أنظروا اليوم أين مكانكم ومكان أولئك الذين كنتم تسخرون منهم وتضحكون .. (**إنى جزيتهم اليوم**) أى فى الجزاء (**بما صبروا**) أى بصبرهم وتحملهم لأذاكم .. ثم وضحت الآية النهاية السعيدة لهم لتقابل خلود الخاسرين فى جهنم بقوله (**أنهم**) وزيادة فى التأكيد قال (**هم**) لأغيرهم (**الفائزون**) بكل ما أرادوه وطلبوه وتمنوه .. ثم تعود الآيات إلى أسئلة التبكيت والتقريع مرة أخرى فتوجه هذا السؤال إلى الكفار الذين ظنوا أن الدنيا هى نهاية المطاف بالنسبة لهم وأنه لا آخرة ولا بعث ولا حساب ولا جزاء يقوله :

---

(1) أنظر الظلال حـ ٤ / صـ ٢٤٨٢

(**قال**) أى الله . أو الملك الموكل بسؤالهم لأهل النار أو لبعض رؤسائهم (**كم لبثتم فى الأرض**) أرض الدنيا وأنتم أحياء.أو أرض القبور وأنتم أموات (**عدد سنين**) ولا شك أن الحق — سبحانه — أعلم بعدد السنين التى لبثوها .. ولكن السؤال ليبين استصغار أمر الأرض .. واستقصار أيامهم فيها . فهم — لجهلهم — قد باعوا بها حياة الخلود .. وأنهم ليحسون اليوم بقصر تلك الحياة وضآلتها وأنهم فى منتهى اليأس وضيق الصدر لا يعنيهم حسابها وعدتها .. ولذلك أخبر الله عنهم بقوله :

(**قالوا**) أى الكفار (**لبثنا يوما أو بعض يوم . فاسأل العادين**) الذين يتمكنون من عد أيامها ان أردت تحقيقها فانا — لما نحن فيه من العذاب — مشغولون عن تذكرها واحصائها . أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم ..

ولما كانت الدنيا بالنسبة للآخرة شيئا تافهاً وحقيرًا كان الرد عليهم (**قال : إن لبثتم إلا قليلا لو كنتم**) فى الدنيا (**تعلمون**) وفى ذلك تصديق لهم فى مقالهم من عدم علمهم بالعدد الحقيقى ..

ثم تعود الآيات مرة أخرى إلى تعنيفهم وترزيلهم وتوبيخهم

بقوله : (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**) لا فائدة فى الخلق من الابتلاء والاختبار وفى كلمة "عبثا" وجهان للاعراب :

الأول : أنها حال من الفاعل . والتقدير أى عابثين .

الثانى : أنها مفعول لأجله والتقدير أى للعبث .

وهما فى الوجهين منصوبة بالفتحة الظاهرة .. ومن مظاهر العبث أنه لا آخرة (**وأنكم إلينا لا ترجعون**) . والعطف فى الجملة على " انما خلقناكم " أو على "عبثا" .. ومما غفل عنه الغافلون أن الحكمة الأساسية للخلق هى البعث . وما هو الا حلقة فى سلسلة النشأة الالهية لهذا الكون بهذا البعث والحساب والجزاء تبلغ كمالها ويتم تمامها .

ولذلك تنزهت الآيات التالية عن العبث فى الخلق بقوله ـ سبحانه ـ : (**فتعالى الله الملك الحق**) عن أن يوصف فى ذاته بما لا يليق به .. أو فى خلقه بالعبث . فهو الملك والمالك على كل شئ وبيده كل شئ الذى من صفاته أنه (**لا اله الا هو رب العرش الكريم**) .. ووصف العرش بالكرم لاحاطته لكل شئ .. أو لأنه استمد ذلك الكرم بنسبته الى صاحبه وهو الله سبحانه وتعالى واستوائه عليه ..

ثم يتوعد الحق ـ سبحانه ـ من أشرك به غيره أو عبد

سواه . بالحساب الشديد على ذلك حيث يقول ـ عز من قائل ـ (**ومن يدع**) يعبد أفرادا أو شركاءً (**مع الله اله آخر**) بعد قيام الأدلة على واحدانية . واستحقاقه للعبادة بلا شريك أو منازع (**فإنما حسابه عند ربه**) أى فجزاؤه ينتظره عند ربه (**إنه**) أى الحال والشأن (**لا يفلح الكافرون**) .. لأنه لا نجاة لهم من النار فلا فلاح لهم أبدا .

يقول المرحوم سيد قطب :

" وكل ما يراه الناس على الكافرين من نعمة ومتاع . وقوة وسلطان فى بعض الأحيان . فليس فلاحاً فى ميزان القيم الحقيقية . إنما هو فتنة واستدراج . ينتهى بالوبال فى الدنيا. فاذا أفلت بعضهم من العقاب فى الدنيا . فهناك فى الآخرة يتم الحساب .. والآخرة هى الشوط الأخير من مراحل النشأة وليست شيئا منفصلا فى تقدير الله وتدبيره . ومن ثم هى ضرورة لا بد منها فى النظرة البعيدة .. "(١)

وفى ختام هذا المشهد وتلك السورة ـ سورة المؤمنون ـ يوجه الله نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يستغفره ويسترحمه بقوله ـ سبحانه ـ معلما له صيغة ذلك .

---

(١) أنظر الظلال صـ ٢٤٨٣

(وقل) يا أحب خلقنا الينا (**رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**) وفى الدعاء طلب بمحو الذنب عينا وأثرا فلا يعاقِب ولا يعاتِب وهذا هو الغفر .. أم الرحمة فهى التوفيق والسداد فى الأقوال والأفعال التى يترتب عليها الفلاح والفوز الذى أشارت اليه أول السورة ..

وقبل أن أنهى اللقاء مع هذه السطور حول تفسير سورة المؤمنون : أسجل ما نقله البيضاوى فى تفسيره عن فضلها قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — " من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت .. " (١) .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) أنظر تفسير البيضاوى جـ ٢ / صـ ١١٦

تفسير غريب ألفاظ القرآن الكريم لطلاب السنة الثالثة

١ ـ سورة الفرقان :

رقم الآية	الكلمة	معناها وتفسيرها
١	تبارك	تعالى وتمجد
١	الفرقان	القرآن الفاصل بين الحق والباطل
٢	فقدره	فهيأه لما يصلح له ويليق به
٣	نشورا	بعثا بعد الموت
٤	إفك افتراه	كذب اخترعه من عند نفسه
٤	زورا	كذبا عظيما لا تبلغ غايته
٥	اكتتبها	انتسخها ونقلها
٥	بكرة وأصيلا	غدوة وعشيا
٦	السر	كل ما يغيب ويخفى
٨	جنة يأكل منها	بستان مثمر يتعيش منه
٨	رجلا مسحورا	غلب السحر على عقله
١١	سعيرا	نارا عظيمة شديدة الاشتعال
١٢	تغيظا	صوت غليان كصوت المتغيظ
١٢	زفيرا	صوت شديد كصوت الزافر
١٣	مقرنين	مقرونة أيديهم الى أعناقهم بالأغلال
١٣	ثبورا	هلاكا فقالوا واثبوراه

ـ تابع / سورة الفرقان

رقم الآية	الكلمة	معناها وتفسيرها
١٨	قوما بورا	هالكين .. أو فاسدين
١٩	صرفا	دفعا للعذاب عن أنفسكم
٢١	عتوا	تجاوزا الحد فى الطغيان والظلم
٢٢	حجر محجورا	حراما محرما عليكم البشرى
٢٣	هباء	كالهباء وهو ما يرى فى شعاع الشمس فى المكان المظلم
٢٣	منثورًا	مفرقا ذاهبا
٢٤	مقيلا	مكان استرواح وقت الظهيرة
٢٥	تشقق السماء	تتفتح
٢٥	بالغمام	بالسحاب الأبيض الرقيق
٢٧	سبيلا	طريقا الى الهدى
٢٩	خذولا	كثير الخذلان لمن يواليه
٣٠	مهجورا	متروكا مهملا
٣٣	أحسن تفسيرا	أصدق بيانا وتفصيلا
٣٦	فدمرناها	فأهلكناها
٣٨	أصحاب الرّس	البئر ــ وقد قتلوا نبيهم ودسوه فيها

ـ تابع / سورة الفرقان

رقم الآية	الكلمة	معناها وتفسيرها
٣٨	قرونا	أمما
٣٩	تبرنا تتبيرا	أهلكنا هلاكا عجيبا
٤٠	مطر السوء	حجارة من السماء مهلكة
٤٠	لا يرجون نشورا	لا يتوقعون بعثا بل ينكرونه
٤١	هزوا	مهزوءا بـه
٤٣	أرأيت	أخبرني
٤٣	وكيلا	حفيظا
٤٥	مد الظل	بسطه بين الفجر وطلوع الشمس
٤٧	الليل لباسا	ساترا لكم بظلامه كاللباس
٤٧	النوم سباتا	راحة لأبدانكم
٤٨	الرياح بشرا	أى مبشرات بالرحمة وهى المطر
٥٠	كفورا	جحودا وكفرانا بالنعمة
٥٣	مرج البحرين	أجراهما
٥٣	عذب فرات	حلو شديد العذوبة
٥٣	ملح أجاج	شديد الملوحة أو المرارة
٥٣	برزخا	حاجزا عظيما يمنع اختلاطهما

ـ تابع / سورة الفرقان

رقم الآية	الكلمة	معناها وتفسيرها
٥٤	نسبا	ذوى نسب ذكورا ينسب اليهم
٥٤	وصهرا	ذوات صهر اناثا يصاهرن بهن
٥٥	ظهيرا	معينا للشيطان على ربه بالشرك
٥٨	سبح	نزهه تعالى عن جميع النقائص
٥٩	استوى على العرش	استواء يليق بكماله . أو استوى عليه وملكه
٦٠	نفورا	تباعدا عن الايمان
٦١	بروجا	منازل للكواكب السيارة " المدارات"
٦٢	خلفة	يخلف أحدهما الآخر
٦٣	هونا	بسكينة ووقار وتواضع
٦٣	قالوا سلاما	قولا سديدا يسلمون به من الأذى
٦٥	كان غراما	لازما أو ممتدا . كلزوم الغريم
٦٧	لم يقتروا	لم يضيقوا تضييق الاشحاء
٦٧	قواما	عدلا وسطا بين الطرفين
٦٨	يلق آثاما	عقابا وجزاءا فى الآخرة
٧٢	اللغو	ما ينبغى أن يلغى ويطرح

ـ تابع / سورة الفرقان

رقم الآية	الكلمــــة	معناهــــا وتفسيرهــــا
٧٢	مروا كراما	مكرمين أنفسهم بالاعراض عنه
٧٣	لم يخرّوا	لم يسقطوا ولم يقعوا
٧٤	قرة أعين	مسّرة وفرحــا
٧٥	يجزون الغرفة	أعلى منازل الجنة وأفضلها
٧٧	ما يعبأ بكم	ما يكترث وما يبالى بكم
٧٧	دعاؤكم	عبادتكم له تعالى
٧٧	يكون لزاما	يكون جزاء تكذيبكم عذابا ملازما لكم

٢ ـ سورة الشعراء

رقم الآية	الكلمة	معناها وتفسيرها
٣	باخع نفسك	مهلكها حسرة وحزنا
٤	أعناقهم	جماعاتهم . أو رؤساؤهم . ومقدموهم
٧	زوج كريم	صنف حسن كثير النفع
١٩	الكافرين	الجاحدين لنعمتي
٢٠	الضالين	المخطئين لا المتعمدين
٢٢	عبّدت بني اسرائيل اتخذتهم عبيدا لك مستذلين	
٣٣	نزع يده	أخرجها من جيبه
٣٣	هي بيضاء	بياضا نورانيا يغشى الأبصار
٣٤	للملأ	وجوه القوم وسادتهم
٣٦	ارجه وأخاه	أخر أمرهما ولا تعجل بعقوبتهما
٣٦	حاشرين	الشرطة يجمعون كل السحرة
٤٤	بعزة فرعون	بقوته وعظمته
٤٥	تلقف	تبتلع بسرعة
٤٥	ما يأفكون	ما يقلبونه عن وجهه بالتمويه
٥٠	لا ضير	لا ضرر علينا فيما يصيبنا
٥٢	انكم متبعون	يتبعكم فرعون وجنوده

٢ ـ تابع / سورة الشعراء

رقم الاية	الكلمـــة	معناهـــا وتفسيرهـــا
٥٤	لشرذمة	لطائفة قليلة بالنسبة الينا
٥٦	حاذرون	محترزون • أو متأهبون بالسلاح
٦٠	مشرقين	داخلين فى وقت الشروق
٦٣	فانفلق	انشق اثنى عشر فرقا
٦٣	كالطود الجميل	كالجبل المتطاول فى السماء
٧٠	أزلفنا ثم الآخرين	قربنا هنا لك آل فرعون من البحر
٧٥	أفرأيتم	أتأملتم فعلمتم
٨٤	لسان صدق	ثناءا حسنا وذكرا جميلا
٨٧	لا تخزنى	لا تفضحنى ولا تذلنى بعقابك
٨٩	بقلب سليم	برئ من مرض النفاق والكفر
٩٠	أزلفت الجنة	قربت بحيث يرى نعيمها
٩١	برزت الجحيم	أظهرت بحيث ترى أهوالها
٩١	للغاوين	الضالين عن طريق الحق
٩٤	فكبكبوا	أى القوا عبدة الأصنام على وجوههم
٩٨	نسويكم برب العالمين	نجعلكم واياه سواء فى استحقاق العبادة وأنتم أعجز الخلق

٢ ـ تابع / سورة الشعراء

رقم الآية	الكلمة	تفسيرها ومعناها
١٠١	حميم	قريب أو شفيق يهتم بأمرنا
١٠٢	كرة	رجعة الى الدنيا
١١١	الأرزلون	السفلة والأدنياء من الناس
١١٨	فافتح	فاحكم
١١٩	المشحون	المملوء بالناس والدواب
١٢٨	ريع	طريق أو مكان مرتفع
١٣٢	أمدكم	أنعم عليكم
١٣٧	خلق الأولين	عادتهم فى اعتقاد أن لا بعث
١٤٨	طلعها	ثمرها الذى يؤول اليه الطلع
١٤٨	هضيم	رطب نضيج أو متدل لكثرته
١٤٩	فارهين	حاذقين بنحتها
١٥٥	المسحّرين	المغلوبين على عقولهم بكثرة السحر
١٦٦	قوم عادون	متجاوزون الحد فى المعاصى
١٦٨	من القالين	من المبغضين أشد البغض
١٧٦	الأيكة	الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر (قرب مدين)
١٨١	من المخسرين	من الناقصين للحقوق بالتطفيف

٢ ـ تابع / سورة الشعراء

رقم الاية	الكلمة	معناها وتفسيرها
١٨٣	لا تبخسوا	لا تنقصوا
١٨٣	لا تعثوا	لا تفسدوا أشد الفساد
١٨٤	والجبلة الأولين	وخلق الخليقة والأمم الماضين
١٨٧	كسفا	قطع العذاب
١٨٩	الظلة	سحابة أظلتهم ثم أمطرتهم نارا
١٩٦	زبر الأولين	كتب الرسل السابقين
٢٠٢	بغتة	فجأة
٢٠٣	هل نحن منظرون	ممهلون لنؤمن ؟ كلا
٢٠٥	أفرأيت	أخبرني
٢٠٧	ماأغنى عنهم	أى شىء أغنى عنهم ٠ لم يغن
٢١٥	اخفض جناحك	ألن جانبك وتواضع
٢٢٢	أفاك أثيم	كثير الكذب والاثم كالكهنة
٢٢٥	يهيمون	يخوضون ويذهبون كل مذهب

٣ ـ سورة النمل

رقم الآية	الكلمة	معناها وتفسيرها
٢	هدى	هاد من الضلالة
٤	يعمهون	يعمون عن الرشد أو يتحيرون
٧	آنست	أبصرت ناراً تجلب الانس
٧	تصطلون	تستدفئون بها من البرد
٨	بورك	قدّس وطهر وزيد خيرا
١٠	لم يعقب	لم يرجع على عقبه أو لم يلتفت
١٢	فى جيبك	فتحة القميص حيث يدخل الرأس
١٢	غير سوء	غير داء برص ونحوه
١٣	مبصرة	واضحة بينة هادية
١٦	منطق الطير	فهم أغراضه كلها من أصواته
١٧	فهم يوزعون	يوقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم
١٩	أوزعنى	ألهمنى وقونى واجعلنى
٢١	بسلطان مبين	بحجة تبين عذره فى غيبته
٢٥	يخرج الخبء	يظهر المخبوء المستور أيّا كان
٢٨	تول عنهم	تنح عنهم قليلا
٣١	لا تعلوا	لا تتكبروا

٣ ـ تابع / سورة النمل

معناهـا وتفسيرهـا	الكلمـة	رقم الآية
مؤمنين . أو منقادين مستسلمين	مسلمين	٣١
تحضرون أو تشيرون على	تشهدون	٣٢
أصحاب نجدة وبلاء فى الحرب	أولوا بأس	٣٣
لا طاقة لهم بمقاومتها	لا قبل لهم بها	٣٧
ذليلون بالأسر والاستعباد	صاغرين	٣٧
آصف أو جبريل أو ملك آخر	الذى عنده علم	٤٠
نظرك أو جفن عينك	طرفك	٤٠
ليختبرنى ويمتحننى	ليبلونى	٤٠
غيروا	نكروا	٤١
القصر	الصرح	٤٤
ظنته ماء غزيرا	حسبته لجة	٤٤
مملس مسوى	صرح ممرد	٤٤
زجاج شفاف	من قوارير	٤٤
تشاءمنا حيث أصبنا بالشدائد	أطيرنا	٤٧
يفتنكم الشيطان بوسوسته	تفتنون	٤٧
أشخاص من الرؤساء مع كل رهط	تسعه رهط	٤٨

٣ ـ تابع / سورة النمل

رقم الآية	الكلمة	معناها وتفسيرها
٤٩	تقاسموا	تحالفوا وأقسموا
٤٩	مهلك أهله	هلاكهم
٥١	دمرناهم	أهلكناهم
٥٢	خاوية	خالية خربة أو ساقطة متهدمة
٥٤	أنتم تبصرون	لا تبالون اظهارها
٥٦	يتطهرون	يزعمون التنزه عما نفعل
٥٧	قدرناها	حكمنا عليها
٥٧	من الغابرين	بجعلها من الباقين فى العذاب
٦٠	حدائق ذات بهجة	بساتين ذات حسن ورونق
٦٠	قوم يعدلون	ينحرفون عن الحق الى الباطل
٦١	الأرض قرارا	مستقرا بالدحو والتسوية
٦١	رواسى	جبالا ثوابت لئلا تميد
٦١	حاجزا	فاصلا يمنع اختلاطهما
٦٣	رحمته	المطر الذى به تحيا الأرض
٦٦	ادراك	تكامل واستحكم
٦٦	عمون	عمى البصائر عن دلالتها

٣ ـ تابع / سورة النمل

رقم الاية	الكلمة	معناها وتفسيرها
٦٨	أساطير الأولين	أكاذيبهم المسطرة فى كتبهم
٧٠	ضيق	حرج وضيق صدر
٧٢	ردف لكم	لحقكم ووصل اليكم
٧٤	ما تكن صدورهم	ما تخفيه وتستر من الأسرار
٧٥	غائبة	شيء يغيب ويخفى عن الخلق
٨٢	وقع القول	دنت الساعة وأهوالها
٨٢	دابة	هى من أشراط الساعة الكبرى
٨٣	فوجا	جماعة وزمرة
٨٧	ففزع	خاف خوفا يستتبع الموت
٨٧	داخرين	صاغرين أذلاء بعد البعث
٩٠	فكبت وجوههم	أى ألقوا منكوسين

خاتمـــــــة

وبعد هذا الوقت الطيب المبارك الذى عشنا فيه مـــع كتاب الحق تبارك وتعالى ، والجو الايمانى الذى أحاط بنا فى رحاب سورة المؤمنون .. يحتم علينا نحن المؤمنين أن نتصف بتلك الصفات التى توصلنا الى السعادة فى الدنيا والفلاح فى الآخرة .. وأن نجعل القرآن هو الدستور الأول فى حركـــة حياتنا حتى لا نضل ولا نشقى .. والحمد لله الذى جعلنـــا من رجال القرآن والمشتغلين بعلومه ، ونسأل الله أن ينفعنـــا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا علما ..

وقبل أن أنهى هذه الخاتمة فى نهاية هذا الكتـــاب المتواضع ، أدعو الله تعالى أن يتم شفاء الاستاذ الدكتـــور/ محمود بن الشريف ، الذى كان صاحب الاقتراح الأول فـــى انجازى لهذا العمـــــل .. !

والحمـــد للـه رب العالمين !

دكتـــور

محمد محمد زناتى

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الاسلامية والعربية

جامعة الأزهر

الفهـــرس

مسلسل	موضـــــوعات الكتـــاب	رقـم الصفحـة
١	المقدمــــة	٥
٢	وقفات بين يدى السورة	١١
٣	فضل سورة المؤمنون	١٣
٤	صفات المؤمنين	١٥
٥	مناسبة السورة لما قبلها	١٥
٦	صفه الخشوع فى الصلاة	١٧
٧	صفة الاعراض عن اللغو	١٧
٨	صفة الحفاظ على الزكاة	١٨
٩	صفة الحفظ للفروج	١٩
١٠	صفة راعية الأمانات	٢٠
١١	صفة الحفاظ على الصلاة	٢٢
١٢	ميراث الفردوس الأعلى	٢٤
١٣	مراحل خلق الانسان	٢٦
١٤	فتبارك الله أحسن الخالقين	٣٢
١٥	مظاهر القدرة فى الكون	٣٤
	بعـــــده / ...	

تابع / الفهـــرس

مسلسل	موضوعـــوعات الكتـــاب	رقم الصفحة
١٦	بـــين نوح وقومه ٠٠ والجزاء المناسب٠٠	٤٢
١٧	الرسل ووحدة الهدف ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٥٥
١٨	موسى وفرعون ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٦٧
١٩	الرسل والخطاب الواحد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٧١
٢٠	مواقف متناقضـــة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٧٤
٢١	شبه واهية ٠٠ وعاقبة أليمة ٠٠٠٠٠٠٠٠	٨٦
٢٢	مظاهر القدرة فى الأنفس والآفاق ٠٠٠٠٠	٩٨
٢٣	سبحان الله عما يصفون ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٥
٢٤	من الموت الى محكمة الحق ٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٤
٢٥	تفسير غريب ألفاظ القرآن ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٤٢
٢٦	فى سورة الفرقان ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٤٢
٢٧	فى سورة الشعراء ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٤٧
٢٨	فى سورة النمل ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٥١
٢٩	خاتمـــة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٥٥
٣٠	الفهـــرس ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٥٦